

ايام على العراق الحديث

لا يمكن فهم العراق الحالي الا بفهم تاريخ العراق المعاصر وابتداءً نأخذ كلمة (عراق) وهذه الكلمة مختلف عليها فالبعض يعزّيها الى اصل كلداني وتعني الارض ما بين النهرين وهذه الكلمة ترجمت الى الاغريقية (ميسوپوتاميا) وفي ما بعد سمي العراق نسبة الى اورك الوركاء والبعض يرى انها كلمة فارسية وتعني الارض المنخفضة (أراك) والبعض الاخر يرى هذه الكلمة تشير الى تعبير جغرافي وليس الى وطن قومي مُعَيّن وهو عراق عربي وهناك عراق اعجمي غرب ايران

وهذه التسمية واختلافاتها على اصل الكلمة تبين حجم الاختلافات والخلافات بين العراقيين ، بداية تاريخنا المعاصر وبداية الوعي السياسي تحقق في العراق قبل الاحتلال البريطاني سنة 1918 حيث البداية كانت سنة 1908 في هذه السنة اعلن الدستور العثماني شكل إعلان عن الدستور العثماني لأول مرة في 23 تموز 1908 تغيرا جذريا كبيرا لدى المجتمع البغدادي والعراقيين بصورة عامة

والملاحظة التي يجب فهمها عن العراق ان العراق بلد تخوم ومحاط بدول كبيرة والعراق مسرح لاحداث صراع هذه الدول الكبيرة حيث الدولة العثمانية من جهة والدولة الفارسية من جهة

اخرى
وكان العراق خاضع للاحتلال العثماني تارةً والفارسي تارةً اخرى واهل العراق وبالذات المدن بغداد والموصل والبصرة استطاعوا ان يحافظوا على الانسجام الاجتماعي دون ان تهزم الاحتلال المتعاقبة ، والشعب العراقي نتيجة هذه الظروف كان مُتلقياً متأثراً بالخارج وظاهرة التلقي نجدها طيلة سيرة تاريخ العراق

سنة 1908 أعلن الدستور العثماني وشكل انقلاب سياسي كبير غير المشهد السياسي العثماني بين الرافضين لسياسة السلطان عبدالحميد وما خلقه من وضع سيئ وما بين تيار سياسي جديد برز الى الساحة عُرف بالاتحاد والترقي ، هذا التيار ادخل مفهوم سياسي جديد وهو عنصر الانتماء القومي التركي وهذا التيار لم يؤثر فقط داخل تركيا وانما أثر في قوميات اخرى وتأثر العراقيون والسوريون بهذا الطرح واخذوا يتبنوا مواقف عروبية قومية متجاوزين الرابطة الدينية الاسلامية والطائفية وهذا التحول يفسر المتغيرات السياسية والاجتماعية خلال الحرب العالمية الاولى

لكي نفهم العراق وتطور العراق لابد العودة قليلا الى الوراء لنشخص الحالة الاجتماعية في اوائل القرن العشرين ،

ان العراق بحدوده الحالية لم يكن يوم من الايام دولة مستقلة وانما كان العراق اما جزء مجزء ما بين دول كثيرة او كله جزء من دولة كبيرة وحدوده الحالية خلقتها ظروف الحرب العالمية الاولى

لم يتجاوز ابناء العراق في مطلع القرن العشرين ثلاثة ملايين نسمة وتركيبه المجتمع لم تكن منسجمة من الناحية الدينية والقومية والمدنية والعشائرية ، كان هناك ابناء مدن وبشكلوا الربع فقط وابناء البدو الرّحل لا يتجاوزا الربع ايضاً وكانت هذه النسبة البدوية اكثر من ذلك نتيجة السياسة العثمانية بحكم مدحت باشا الذي عمل على توطين البدو الرّحل وغير من التركية العشائرية من خلال الاراضي في تحول العشائر من عشيرة واحدة الى حالة اقطاعية جديدة وهي تملك الاراضي للشيوخ المرضي عنهم واصبحت الارض ملك الشيخ ويمكن له ان يورثها لاولاده وليس لباقي ابناء العشيرة من شبيء كما كان سابقا في توزيع المغنم

وبالتالي لم يعد ابن العشيرة متساوي مع الاخرين وانما اصبح فلاح يعمل في ارض الشيخ ، هذا التحول له اثر كبير في النتائج السياسية لاحقا وانعكس في عدة ازمان وخاصة في اربعينات

وخمسينات القرن العشرين

ان المدن الاساسية في العراق (بغداد-موصل-بصرة) وهي مراكز ثلاث ولايات بمجملها كانت مرتبطة مع استنبول مباشرة وليس لها علاقة مع بعضها البعض ولم تكن ادارة مشتركة تربط المدن مع بعض ، وتوجه المدن الحياتي والمعيشي يختلف الواحدة عن الاخرى حيث البصرة توجهها تجاريا نحو الخليج والهند وبغداد اكثر تطلع الى الجهة الشرقية نحو ايران من خلال الزوار لكربلاء والنجف والكاظمية وسامراء ، والموصل نحو تركيا وحتى اللغة التركية شائعة في الحواضر المدنية ، والمدينة مهمة مهمة للدولة العثمانية لان المدينة مركز ادارة الولاية ومركز وجود الجيش ومركز جمع الضرائب

وان كثير من المدن التي انشئها الاتراك في اواخر القرن الثامن عشر الرمادي والعمارة والديوانية والكوت وهذه كلها مدن حديثة ومن يقطن تلك المدن الموظفين الاتراك والعاملين

معها ونجد في أغلب هذه المدن المستحدثة طابع عشائري وديني شيعي والعاملين في دوائر الدولة في هذه المدن هم من أبناء الطائفة السنية المرتبطين بالدولة العثمانية نتيجة العمالة معها إضافة الى المدن والعشائر الرُّحل هناك عشائر مستوطنة قبل قانون الاستيطان وهذه النسبة الأكبر في العراق وتشكل غالبية سكان العراق وتتمتع بشبه استقلال لان التعامل العثماني معهم لم يكن بناء على تعامل أبناء وطن ودولة وانما تتعامل دائماً الى تحاشيهم وعدم التحرش بهم وحتى عند اندلاع ثورات ترسل استنبول جيش اما من البصرة او بغداد وكل ما يُطلب من هذه العشائر المستوطنة سابقا دفع الضرائب

ودفع الضرائب مورد اساسي لتمويل الولاية والسبيل الوحيد لبقاء الادارة مقابل ذلك ترك العشائر لشأنها دون تدخل الدولة العثمانية مما عزز استقلالها ولم تكن العشائر تعتمد على مورد من الدولة ، والظاهرة المهمة في التركيبة العشائرية غالبيتهم نزحوا من الجزيرة العربية ومن اليمن واغلبيتهم عشائر عربية سنية ولكن لاستيطانها احواض الفرات الاوسط ودجلة وخاصة الفرات الاوسط وقربهم من الاماكن الدينية الشيعية تدريجيا بدء التشيع بأوساطهم والتشيع هنا سياسي لان بأسم التشيع بإمكان العشائر ان ترفض السيطرة العثمانية باعتبار هذا الاختلاف يعني الكثير بالنسبة للعشائر وبالتالي لم تحاول الدولة العثمانية التعامل معهم او مع الشيعة بشكل قسري او فرض وانما باهمال

أبناء الاماكن المقدسة وهم التركية الاخرى للمجتمع العراقي كربلاء والنجف وسامراء تمتعت بأدارة ذاتية لنفسها وتمكنت بأدارة شؤونها وتعتمد علي الزوار كمصدر اساسي للتمويل وهذه المناطق اقام بها واستقر عدد كبير من الايرانيين تقرباً بالمراد المقدسة وصار التزاوج بين العرب والايرانيين امر شائع ، ثمت هناك عامل اخر برز في اواخر القرن التاسع عشر فرض قوانين على الدولة العثمانية تعامل أبناء ورعايا الدول الاخرى معاملة مختلفة اي لا يُجبر أبناء هؤلاء الرعايا على التجنيد فكان بالنسبة لابناء عشائر النجف وكربلاء تخلصوا من التجنيد لانتمائهم للمذهب الجعفري واكثر من ذلك لايران

لذلك نجد كثير من الجنسيات تبعيته ايرانية وهو في الحقيقة ليس ايراني او ابائه ايرانيين ولكن لاعفائه من التجنيد وهذا شئ مهم للاجيال الجديدة بفهمه لان العراقيين جميعهم كانوا تبعية اما عثمانية او ايرانية اي لم يكن هناك تبعية عربية وان هذه الحالة افرزت سياسات في ما بعد بأن العراقي ذو تبعية عثمانية هو عراقي وذو تبعية ايرانية ليس عراقي وهذا شئ خاطئ والطبقة الفريدة في العراق أواخر العهد العثماني او الحكم العثماني هي طبقة العسكر ولهذه الطبقة دور مهم في تاريخ العراق الحديث والمعاصر في تأسيس الدولة واقامتها ، ولم تكن في اواخر القرن التاسع عشر سوى مدرسة او مدرستين ثانوية وبعض المدارس الابتدائية في المدن ، اما الاطراف فلا وجود للمدارس وكان مدارس عسكرية في بغداد وواحدة في السليمانية وهذه مدارس متوسطة عسكرية ومدرسة واحدة ثانوية المتخرج منها يلتحق الى الكلية العسكرية في الاستانة ويتخرج ضابط في الجيش العثماني ، والاقبال كبير على هذه المدارس وحسب الاحصائية والوثائق البريطانية أن ذاك مجموع الطلبة الذين التحقوا للمدارس العسكرية سنة 1914 عددهم 1338 طالب في هذه المدارس ومجموع الطلبة في عموم العراق 15398 طالبا لعموم المدارس المدنية والعسكرية وان طلاب المدارس العسكرية يشكلون نسبة عشرة بالمئة من طلبة العراق جميعا ، هذه الشريحة من العسكريين كانت الشريحة الأكثر ثقافة وحادثة وبالمقابل ايضا كانت ثقافة رجال الدين ومدارس الكتاتيب هي التي تعلم الانباء غير المسجلين في المدارس الحكومية

والشئ المهم لم تكن المدارس العسكرية لابناء الطبقة الوسطى فحسب وانما للفقراء ايضا وكانت العوائل الفقيرة تحاول زج ابنائها في المدارس العسكرية ويتم قبولهم في الكليات العسكرية لمنحهم وضع اجتماعي جديد لرفع شأنهم بين الناس ولبس الزي العسكري وترقيته الى ضابط يفتح آفاق اجتماعية افضل من بقائه في المدارس الدينية والفصول الكتاتيب هذه المقدمة في قراءة تعريف طبيعة تركيبة المجتمع العراقي بداية انطلاقا جديدة لدخول العراق مرحلة جديدة اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فالتحرك السياسي في العراق بدء عندما قامت الحركة الدستورية في تركيا كان الطرف العربي العراقي قد بدء يتحرك سياسيا فظهرت تنظيمات سياسية للضباط وبناءً على الوثائق سنة 1912 كان هناك تكتل عسكري يضم مئة ضابط عراقي موقفهم معادي الاتراك بسبب سياسة التتريك والاتحاد والترقي والعسكر ظهر دورهم اكثر في تشكيل جمعية مهمة جدا اسمها جمعية العهد سنة 1912 او 1913 وهذه الجمعية تأسست في استانبول وتمكنت في ما بعد ان تكون لها فروع في العراق وسوريا وبدئت الجمعية بدعوات الى اللامركزية والمطالبة باللغة العربية الى ان تحولت بالمطالبة بشكل اساسي الى استقلال البلدان العربية

ومن هؤلاء الضباط كان منهم طه الهاشمي ونوري السعيد ومولود مخلص وصاروا في ما بعد من الضباط الشريفيين الذين التحقوا بالشريف حسين ولهم دور في ما عُرف تاريخيا بالثورة العربية في الحجاز

هذا التنظيم لضباط العهد كان رأس رمح سياسي في تطور الاحداث فحاول هؤلاء الضباط عند اعلام الحرب ان يلعبوا دور سياسي لكن الادارة البريطانية لم تكن متحمسة لهم لكن في ما بعد تغيرت السياسة البريطانية لصالح قبول حكم ذاتي محلي وانتداب لحكم اهلي انفتحوا مرة اخرى على الضباط العراقيين وفسح المجال ان يتبوءون المناصب بالاساسية في العراق ابان تأسيس الدولة العراقية الحديثة ، الجانب الملفت في تحرك الضباط كان واضح ليس الدافع ديني ولا طائفي قَلو كان الدافع دينياً لدافعوا عن الدولة العثمانية الاسلامية وان كان الدافع طائفي لدافع الضباط السنة ايظا عن الدولة العثمانية السنية لكنهم تصرفوا كعرب وتعاملوا مع العراقيين كعرب وانفتحوا على زعامات عربية في سوريا والحجاز كعرب وهذه تعتبر بذرة اساسية للرعي الاول (الرعي القومي العربي الاول) هذا الرعي استطاع ان يتبوء المناصب ويقيم دولة في العراق ودولة في سوريا وحتى الاردن ، هذه الدول استطاعت ان تتحول من الوبية متناثرة تحت الحكم العثمانية الى وحدات سياسية متكاملة

ان وضع ابناء المراكز الدينية الشيعية في العراق الجانب الواضح فيه الوعي السياسي للمجتهدين الشيعة حيث يعود هذا الوعي الى اذار 1890 في ايران بمنع ناصر الدين شاه الى احتكار التبغ الايراني للبريطانيين ، فقامت ثورة كبيرة ضده واصبحت تعرف معركة التبغ الى فرض التراجع عن هذا الاحتكار وكان رجال الدين وقفوا ضد هذا الاحتكار وكان اول انتصار لرجال الدين لقيادتهم المعارضة لمشروع احتكار التبغ للبريطانيين والاجراء الثاني الذي اعاد الوضع لرجال الدين وجعلهم في الواجهة في ايران والعراق هو اعلان المشروطية او دستور سنة 1906 الايراني وهنا برز في ايران ان الحوزة الدينية الشيعية انقسمت على نفسها ، فهناك تيار كان مع الدستور وتيار اخر معارض له باعتباره بدعة جديدة وليست مقبولة فكان المرجع المازندراني والملا كاظم الخراساني مع الدستور بينما المجتهد كاظم اليزدي كان من المحافظين والمعارضين لهذا الدستور . والشئ الاخر الذي برز رجال الدين عندما تقاسمت بريطانيا وروسيا سنة 1907 النفوذ على ايران فهنا ظهر دور اخر لرجال الدين بمعارضة هذا التقاسم وبالتالي عقد مؤتمر في النجف سنة 1910 لرجال دين وغير عرب كما حضره رجال دين عثمانيين اترك وهذا المؤتمر مهم لانه اعلن عن ضرورة وحدة العالم الاسلامي وأكد ان تجاوز القوى الاجنبية على اراضي المسلمين والتي بدئت في ايران وعلى تركيا الوقوف ضد التدخل الاجنبي

هذا التحول في الوحدة الدينية امام الاجنبي نلاحظ وجود عامل اساسي لسلوك المسلمين في المنطقة عند تدخل الاجنبي يبرز عامل الوحدة الدينية الإسلامية الانفتاح السياسي والحراك السياسي بعد سنة 1908 بأعلان الدستور لا يهم المناطق العشائرية لانها شبه مستقلة كما ان المناطق الدينية الشيعية لم تأخذ الامور بشكل جدي وانما من يؤيد الدستور في ايران تتعاطف معه ومن لم يؤيد الدستور الايراني لم تتعاطف معه داخل العراق اما الذين اعلنوا موقف ايجابي من دستور سنة 1908 هم الاقليات وتحديداً المسيح واليهود اضافة الى المثقفين العراقيين وبهذا الصدد يجب ان نلاحظ ان الاقليات في العراق فسيفساء بهذا المعنى للكلمة والمسيحيين في العراق كانوا يشكلون مئة الف نسمة ولهم في الموصل من 16-18 كنيسة وبالمقابل الطائفة اليهودية وهي تتمركز في المدن الكبيرة وهي عريقة وقديمة وخاصة في بغداد يصل تعدادها حسب احصائية بريطانية اعدت سنة 1920 بحدود مئتي الف نسمة ، واذا قُسم المواطنين القاطنين في بغداد على اساس ديني اثني بين سنة وشيعة ويهود ومسيح نجد ان اليهود هم الاكثرية في بغداد وهذه الحقيقة هي التي دعت بعض الحركات الصهيونية الى اعتماد بغداد كوطن قومي لليهود لان اليهود في وادي الرافدين منذ السبي البابلي بدل اوغندا او غيرها

ان التنوع الاثني في هذه الرقعة الفسيفسائية كانت تضم الاقليات الاخرى كالكسابة وغيرهم واذا يعد مئة عام بدئت اعدادها بالانحسار واصبحت حالة شبه اخلاء هي السائدة وكذلك الايزيدية تعرضوا الى نفس المأساة وبذل من ان تكون حالة مد الجذور في العراق اصبحت الهجرة بديل عنها

الحركة الاستقلالية التي بدئت سنة 1908 لم تكن منطلقة من اساس ديني او طائفي والمجتمعات الشيعية كانت تشعر ان مزيد من الاستقلال العراق يعطيها فرصة للانفتاح والعيش ، فكانت مع الحركة الاستقلالية وهنا نعود الى الفكر الاساس اننا شعب متلقي فجأة اصبح العراق وسوريا والمنطقة هذا الهلال الخصيب يتلقى كثير من الرسائل من العالم الاوربي والامريكي بدءاً من مراسلات الشريف حسين مكماهون البريطاني بين سنتي 1916 - 1917 وكانت هذه الرسائل المتبادلة بين الطرفين وعدوا البريطانيين بها العرب والشريف حسين اذا تعاونوا مع الحلفاء ضد العثمانيين ستكون المكافئة قيام كيان عربي موحد في هذه المنطقة ويجعلوا من الشريف حسين وابناءه ملوك لها وبالطبع هذه الوعود لم تتحقق أثرت هذه الوعود بالعراقيين وشجعتهم بالدعوة الى الاستقلال والتوجه القومي خاصة ببيان الجنيرال مود عندما دخل بغداد في اذار سنة 1917 وقرء البيان المشهور وجاء فيه نحن

جئنا محررين وليس مستعمرين ونحترم ارادتهم ورغباتكم ، والمفارقة ان الجنرال مود لم يكن سعيد بالبيان وانما فرض عليه فرضاً ان يقرأه وهذا من جملة الاساليب التي اعطيت لايهاام العراقيين والعرب لكسب ودهم لمحاربة الدولة العثمانية ، باللحظة التي اندحر بها العثمانيين تغيرت المعايير البريطانية واصبحت الطلبات تختلف عن سابقتها

ان التصريحات العربية انطلافاً من اعلان مبادئ الرئيس الامريكي اندرو ويلسن الاربعة عشر مبدء ، وهذا الرجل كان لديه مثاليات منها اصراره على حق تقرير مصير الشعوب وقال يجب ان تكون تركيا دولة ذات سيادة ولكن القوميات الاخرى كالارمن والاكراد والعرب جميعهم يجب ان يكون لهم حق تقرير مصيرهم ، هذا المبدئ الهب مشاعر العراقيين كعرب وكأكراد واخرين ايظا بأن هناك فرصة امل بالاستقلال وقيام الكيانات السياسية المستقلة ، لكن اللعبة الدولية وبالذات من اوربا كفرنسا وبريطانيا كانوا مُصّرّين على اهدافهم الاستعمارية والسيطرة على هذه المنطقة ولم يكونوا بمورد اعطاء الاستقلال وتقرير المصير لانهم ليسوا جمعية خيرية تساعد هذه الشعوب وانما لهم مصلحة يجب ان تحميها في المنطقة

بهذه البيانات والخطابات خلقت مناخ سياسي وتحديداً في بغداد اكثر دعوة للاستقلال وبرز تنظيم سياسي جديد باسم جمعية حرس الاستقلال وهذه الجمعية مهمة لانها جمعية ضمت ابناء بغداد وكانت شعاراتها عربية وتضم عناصر شيعية وسنية وكانت هذه الجمعية هي التي بذرت بذور الهوية العراقية الجديدة

من هذا التقديم التاريخي كلُّه نصل الى ان الحرب العالمية الاولى هي التي خلقت الكيان العراقي وخلقت الكيان السوري بالصفقة المعروفة صفقة سايكس بيكو ، سايكس وزير بريطاني وبيكو وزير فرنسي ، تمت الصفقة سنة 1915 من اجل ان لا تحصل خلافات بين الطرفين في المنطقة ، فقسّموا الشرق الاوسط بلديهم وهذا التقاسم عرف في ما بعد يرسم الحدود على الرمال

وجعلوا سوريا وفلسطين ولبنان تحت السيطرة الفرنسية بضمنها الموصل ، وتكون بغداد والبصرة خاضعة للسيطرة البريطانية ، لكن سرعان تطورات الحرب وحالة فرض الحقائق على الارض خلال الحرب والانتصارات فرضت هذه الحالة البريطانيين على المنطقة وليست فرنسا ، ودخل البريطانيون فلسطين والعراق وظهرت مشكلة تتعلق باتفاقية سايكس بيكو هي طموح بريطانيا الذي كان يمثلهُ ديفيد لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا آن ذاك بأن الموصل مهمة نفطياً ولا يمكن تركها الاسطول البريطاني تخول من الاعتماد على الفحم الى الاعتماد على النفط والنفط عنصر مهم واساسي لدولة مثل بريطانيا تعتمد الاساطيل البحرية وليس القوات البرية فحصلت صفقة اخرى نتيجة ضعف الفرنسيين ووضعهم الممتلك في جبهات سوريا وغيرها

وبعد الضغط البريطاني اعادوا النظر بهذه الاتفاقية وتغيرت باللقاء الذي حصل لكانسو بزيارته لندن سنة 1918 مع لويد جورج على الشكل التالي

الموصل وفلسطين للبريطانيين وتبقى سوريا للفرنسيين ومع انتهاء الحرب عاد الصراع من جديد

الحلقة 2 أ القضية الكردية

تاريخيا الكرد والامة الكردية لم تكن على الاطلاق تابعة الى بغداد وعلى اي شكل من الاشكال وما يسمى الان غرب كردستان او كردستان الجنوبية كلها كانت ترتبط ارتباط مباشر بالدولة العثمانية وتوجهات الدولة العثمانية ، وارتباطهم كان اسلامي واداريا كانوا مرتبطين بمركز الدولة العثمانية واكثر من ذلك كونهم مرتبطين وكونهم قبائل كانوا يتمتعون بكثير من الاستقلال في ادارة امورهم الذاتية

لذلك نجد حتى عند ظهور الحركة القومية العربية والمطالبة بالاستقلال لم تكن كردستان جزء من طموح وفكر دعاة الحركة الاستقلالية العربية ، واول الامثلة على دعوات الاستقلال العراقي كان السيد طالب النقيب عند تأسيس جمعية تطالب بالاستقلال وطالب النقيب باستقلال العراق العربي اشارة الى البصرة وبغداد فقط دون الموصل من ذلك ولم يذكر الموصل بهذا الاستقلال عند مجيء لجنة عصبة الامم لتقرير مصير مدينة الموصل وحسب التقرير الموضوع من قبل اللجنة ، ان الدولة العثمانية ونتائج الحرب العالمية الاولى عند توقيع اتفاقية سنة 1918 بوقف القتال بين الحلفاء والعثمانيين كان القرار ان الاراضي التي احتلت من قبل الحلفاء هي التي تُقرر مصيرها والاراضي التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية بنهاية الحرب تبقى تحت سيطرتها والبريطانيين دخلوا الموصل بعد توقيع الهدنة لانهم كانوا طامحين بالسيطرة عليها لأسباب استراتيجية وبالذات نفطية ولهذا السبب تعد مشكلة الموصل لم تحل الا سنة 1925 عند تشكيل لجنة من قبل عصبة الامم لتزور المنطقة وتقرر بتقرير اللجنة ، ومن المفارقات في

هذا التقرير ان خمس اثمان سكان الموصل هم من الكرد ومع ذلك اوصت اللجنة ان هذه المنطقة تُظم الى العراق وليس الى تركيا وهكذا ارتبط مصير الاكراد بالعراق عند تنظيم معاهدة سيفر سنة 1920 التي نظمت العلاقة بين الحلفاء وتركيا المتبقية من الدولة العثمانية اعطت حق تقرير المصير لشعوب خارج الدولة التركية وتحديد اكراد العراق وذكر يجب ان يكون لهم اي الاكراد حكم ذاتي لمدة سنة وبعدها يمارسوا حقهم بقيام دولة او الانضمام الى الدولة التي يريدون ، لكن بعد سيطرة تركيا داخليا على اوضاعها الجديدة على يد مصطفى كمال اتاتورك وضم مدن عديدة الى تركيا ، اعيد النظر بالعلاقة بين تركيا والحلفاء باتفاقية لوزان التي اهلكت الوضع الكردي واعتبرتهم تحصيل حاصل هم جزء من العراق هذا التطور الحاصل في المنطقة لم يكن البريطانيين غائبين عنه وعن خصوصية الوضع الكردي وحتى ونستون تشرشل لم يكن متحمس لضم الاكراد الى العراق ولكن لطروف آنية وموضوعية بنفس الوقت جعلت الكثير من البريطانيين ان يغيروا رأيهم وكان بإمكانهم ضم المناطق النفطية الى المركز بغداد والمناطق الكردية تعطى استقلالاً او حكم ذاتي لكن توجد نقطتين مهمتين علينا توضيحها ، ان السير ارنولد ويلسون الحاكم البريطاني في العراق وهو شاب متحمس وينتمي الى المدرسة البريطانية الهندية نظر الى كوردستان وجبالها نظرة استراتيجية عسكرية قائلاً لكي افضل العراق عن الدولة التركية فعلينا ان نستفيد من الجبال الكردية المانعة كفاصل افضل من ان تكون علاقتنا بتركيا عبر سهل وهذا عامل اساسي دفع الحاكم ارنولد الى نصح حكومته بضم كوردستان الى العراق

وجانب اخر في الموضوع لاحقا ان الملك فيصل بعد مجيئه الى العراق وجد حالة انقسامية عراقية صعبة وخاصة الانقسام الشيعي السني فهو لم يكن يرغب ان يرشح الى اغلوية شيعية متشددة وبالتالي كان يريد ضم الاكراد لتحقيق عامل التوازن الطائفي ، ولم يكن العنصر القومي الكردي بارز بين الاكراد وانما العنصر العشائري والمذهبي الذي يربط الاكراد مع الآخرين

سنة 1921 عينت الادارة البريطانية الشيخ محمود البرزنجي وهو احد الشيوخ البارزين حاكم على المنطقة الكردية في السليمانية وكانت السليمانية هي المركز الكردي البارز وليس اربيل لان اربيل ان ذاك كان نصف سكانها تركمان وليس اكراد الذين كانوا يسكنوا الجبال ، ومحمود البرزنجي بدل من ان يعزز العلاقات وحكمه مع البريطانيين اعلن نفسه ملك على كوردستان العراق ومعارض ورافض اي نفوذ بريطاني ، بالتالي دفع المنطقة الى صدام عسكري مباشر مع البريطانيين ودخل حروب وصراعات وثورات انتهت سنة 1930 بقمع ثورته نهائياً ووضع رهن الاعتقال واخرج من اللعبة السياسية ، لكن هذا لم ينهي روح الاستقلال خاصة بين النخب الكردية ، وهذا الشعور وروح الاستقلال الكردي كان عنصر ارهاق للمركز في بغداد على طول مسير تاريخ العراق المعاصر ، وخلق عقل سياسي في المركز يستوعب الحالة واقامة اقليم كوردستان للأكراد واقامة اقليم عربستان تضم الموصل وبغداد والبصرة كعرب كان من الممكن اقامة نظام فيدرالي بين اقليم كردي واقليم عربي داخل العراق او اقامة اتحاد كونفدرالي او استقلال الطرفين عن الآخر وهذا كان ذو اكثر فائدة للعراق

فلو اتبعت هذه السياسة مع الكرد منذ البداية ما هي الفائدة للعراق وهنا نذكر رأي فيصل الاول حيث اراد جيش يحمي المملكة من الداخل وحماية الحدود مهمة الدولة المنتدبة اي بريطانيا وان مهمة الجيش لقمع ثورتين او انتفاضتين واحدة في الشمال وواحدة في الجنوب ، بالتالي لو ان السياسيين المحليين والاجانب لهم بعد نظر تاريخي وسياسي بان حكم الاكراد لا يجلب الا المشاكل واستنزاف مصادر الدولة والخراب كما حصل على مدى قرن العشرين وفشل الحكومات المتعاقبة في دمج الاكراد دمجاً حقيقياً مثلما نجحت بدمج الشيعة والسنة اكثر من دمج الاكراد والعرب ، حيث كان دمج الاكراد ابطئ من دمج العرب في ما بينهم وان الاكراد يشعروهم الاستقلالي وخصوصيتهم الاجتماعية وثقافة المجتمع اكدوا أنفسهم من خلال الانتفاضات الكردية المتكررة حتى بعد سقوط النظام الملكي وقيام الجمهورية العراقية بزعامة عبدالكريم قاسم وانفتاحه على الاكراد وتصور ان ثورته التي اقيمت سنة 1958 ستحل مشاكل الاكراد

واعيد مصطفى البرزاني من المهجر في الاتحاد السوفيتي الى العراق ، ولكن سرعان ما انقلب الطموح الكردي على قاسم مدفوعاً بالطموحات القومية الانفصالية اكثر مما مدفوعاً بالإصلاح الديموقراطي في العراق وما شجع على ذلك الانقلاب حكومة قاسم التي بدئت توصف باليسارية ومتعاونة مع الشيوعيين والاتحاد السوفيتي مما شجع دول الجوار والاكراد باستغلال عواطف الكرد القومية للوقوف ضد قاسم باعتباره قريب للسوفييت والاكراد اقرب للغرب ، وحتى في عهد عبدالسلام عارف وشقيقه عبدالرحمن عارف وعهد صدام حسين كان دائما موضوع الكرد موضوع اشكال واستنزاف قدرات العراقيين المالية والبشرية لدرجة ان الحكم العراقي استعان بقوات سورية لضرب الكرد وهذه الحادثة عمقت الفجوة بين العرب والكرد عند استخدام جيش عربي لضرب الكرد وبدون شك ستكون ردة فعل كردية سيئة تجاه العرب

واكثر من ذلك الاستنزاف الاقتصادي للمركز ضد الثورات الكردية يتجلى بأكبر صورة له سنة 1975 ففي هذه السنة وعن تصريحات مسؤولين حكوميين عراقيين في ذلك الوقت كان حكم البعث اضطر صدام حسين ان يعقد اتفاقاً مع شاه ايران في الجزائر بمساعدة الرئيس هوارى بومدين وهذا الاتفاق مبعثه الاساسي ان ايران التي هي داعمة للطموحات الكردية ضد بغداد ان تقف عن ذلك وترفع الدعم واسقاط الثورة الكردية كان عن طريق التنازلات لشاه ايران واخماد ثورة الاكراد ومن دفع الثمن هم العراقيين بالتنازل عن شط العرب من الجانب الايراني والذي كان عراقيا في كلا الجانبين وبعض المناطق قبالة ايران أيضا عراقية والقبول بخط التالوك وهذا ينقلنا الى ان او كان وضع الاكراد افضل منذ البداية لكان أيضا وضع العراق افضل بدل المأساة التي تعاقت على العراق والعراقيين بكردهم وعربهم وما حصل من تغيير ديمغرافي من خلال سياسة التعريب وسياسة التكريد والتمن اقضاء الانسان عن ارضه

الحلقة 2 بـ

حكم فيصل الاول

الحكم الفيصلي هو تجربة فريدة في حكم العراق وحكم الملك فيصل الاول بالذات كان الانجح في الحكم

فيصل الاول هو ابن الشريف حسين مكة والحجاز وحجار كانت تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي وان كانت تابعة للدولة العثمانية والامير فيصل كان احد المبعوثين او النواب عن الحجاز والذي دخل مجلس المبعوثان في الاستانة سنة 1912 فكانت للأمير فيصل تجربة برلمانية كما كان له احتكاك وتعامل مع الغرب ومع المحيط الاقليمي من العرب ، وكان في وقتها عثمانى الهوى ولم يكن طارح نفسه عربياً او قومياً لكن التحول الذي حصل بظهور النزعات القومية التركية بزعامه حركة تركيا الفتاة وفي ما بعد حزب الاتحاد والترقي وجد الامير فيصل نفسه تدريجياً يسال ما هو مصيرنا بعد نهاية الحرب اذا تم احتلال هذه المناطق العربية من قبل الحلفاء

هل ستكون مجرد مستعمرات ان سيكون لها وضع آخر اقرب الى الاستقلال ، من هنا كان دوره الاول ونضجه السياسي نتيجة الموقف القومي التركي وما فرضته الحرب العالمية الاولى ، هذه الاحداث وجهت البريطانيين بالتعامل مع شخصيات عربية اسلامية لكسبهم ضد الدولة العثمانية وكانت المدرسة البريطانية الهندية تحديداً تخشى من هبة اسلامية اسلامية في الشرق الاوسط وتؤثر على مسلمي الهند تحديداً ، وتخلق لهم مشاكل هناك فكانوا يبحثون عن اصوات اسلامية لها الشرعية والمكانة والاحترام مثل الشريف حسين مكة والحجاز ، وان يكون مع الحلفاء لكي لا يفسحوا المجال للدولة العثمانية باستغلال المشاعر الاسلامية ضد الحلفاء وقد نجحت بريطانيا الى حد كبير من خلال الشريف حسين

حيث دخلت بريطانيا بمفاوضات مع الشريف حسين والمعروفة بمراسلات حسين مكماهون وهذا المباحثات استمرت بين سنتي 1915 - 1916 والتي بالنهاية كانت مطالب الشريف حسين باستقلال العرب وقيام دولة واحدة بحكم الشريف نفسه ، تلكؤ البريطانيين لهذا المطلب في بداية الامر ولكن تدريجياً اعطوه انطباعات دبلوماسية غير واضحة والنظر بعين العطف باستقلال العرب واكثر من ذلك طالبيه بتحديد حدود الدولة الجديدة فوافق الشريف على ذلك وعلى ان تكون فلسطين جزء من هذه الدولة المرتقبة والجديدة ، وهذه الورقة كانت ورقة رابحة بيد البريطانيين لمحاربة الدولة العثمانية وحرمان العثمانيين من اللعب بالورقة الاسلامية وليس المسلمين جميعهم وانما بالذات المسلمين السنة وهم غالبية المسلمين في العالم ومنه الهند

ان هذه الاحداث ترتب عليها اجراء بأن فيصل واخوه عبدالله وفيصل هو الاخ الاصغر ان يلعبان دور محدد ، والبريطانيين ينظروا الى عبدالله اكثر حزم وشدة من بينما فيصل اكثر مرونة ودبلوماسية للبريطانيين ، لذا كان تصورهم بانتهاء الحرب تقوم دولة عربية في سوريا يحكمها الامير فيصل ودولة عربية في العراق يحكمها الامير عبدالله ، وفعلنا امكن امكن جيش الثوار العربي من دخول سوريا واعلن سنة 1919 قيام دولة سوريا بزعامه الامير فيصل ولكن سرعان ما اصطدمت هذه الدولة الجديدة مع الموقف الفرنسي الذي كان غير مستعد على الاطلاق للتنازل الى السيطرة العربية المباشرة او قبول حكم ذاتي محلي او اي شكل من اشكال الاستقلال العرب ودخلت فرنسا في صراع كبير مع بريطانيا حول الموضوع وحتى كانت له تبعات لاحقة ومن هذه المشاكل التي حصلت

ان من اجل ضمان فرنسا سيطرتها على سوريا وافقت بريطانيا على ان يتخلوا الفرنسيين عن فلسطين التي كانت جزء من اتفاقية سايكس بيكو لفرنسا

وفي ما بعد وافقوا الفرنسيين حتى بالتخلي عن الموصل لصالح بريطانيا وحسب نفس الاتفاقية كانت للفرنسيين وكل ذلك من اجل ان يضمنوا بقاء سوريا تحت سيطرتهم ولبنان الحالية ، كل هذا دفع الى اسقاط حكم فيصل في سوريا واخراجه منها ومثل ذلك نكسة كبيرة للطموح العربي ، وهنا بدء الصراع البريطاني الفرنسي بدء انعكس على العراق والضغط الفرنسي على البريطانيين ضد فيصل على عدم تنصيبه على العراق لأنه عامل تخريب ويجب على الحلفاء الحفاظ على علاقاتهم في ما بينهم ، لكن الدهاء البريطاني والمخاتلة في اللعب اظهروا احترام لإرادة الشعب العراقي فاذا اختار الشعب فيصل لن يعارض البريطانيين لذلك وان البريطانيين والفرنسيين أيضا تحت الضغط الأمريكي وشعارات ومبادئ اندور ويلسن بحق تقرير مصير الشعوب ، وكان البيان الفرنسي البريطاني سنة 1918 اشار الى ارادة الشعوب مما طمن العرب في العراق وسوريا ان ارادتهم ستحترم ، وهنا السؤال اصبح من هو الشخص المناسب لحكم العراق ، قبل ان يحسم الموقف البريطاني امره بأن يجب ان يحكم العراق من قبل العراقيين او العرب كان هناك صراع بريطاني داخلي حاد بين المدرسة البريطانية الهندية وبين مدرسة القاهرة البريطانية ، عاد كوكس مرة اخرى الى العراق سنة 1920 بعد اجتماع مؤتمر لندن الذي حسم الموضوع باختيار فيصل لحكم العراق وبرغبة من ونستن تشرشل لان ثورة العشرين في العراق انهكت الموارد البريطانية واستنزفت الاموال وليس الموقف النزيف البشري رغم انه قتل من البريطانيين 2800 جندي اغلبهم من الهنود وقتل من العراقيين قرابة 8000 عراقي ، ولم تكن تلك الضحايا مشكلة لهم وانما المشكلة هي كلفة الحرب المالية والنزيف الاقتصادي

وجاء قرار المدرسة البريطانية في القاهرة محسوم لفیصل وبأشادة توماس ادوارد لورنس والمعروف لورنس العرب ومس بيل واخرين عراقيين منهم جعفر العسكري واستقرت الفكرة ان يأتي الامير فيصل لحكم العراق بعدها طرح سؤال كيف سيتم اخراج الموضوع وتنصيب فيصل للرأي العام العراقي والاقليمي وحتى الموقف الفرنسي لأنه كان ضد فيصل ، وكان جهد بريطانيا محسوم الى درجة وصف السير بيرسي كوكس المعتمد البريطاني في العراق قائد الحملة الانتخابية لفیصل في العراق ، من عارض ترشيح فیصل تعددت اطرافه فعلى سبيل المثال اعترض نقيب بغداد عبدالرحمن النقيب وهو من وجهاء بغداد البارزين وكذلك اول رئيس وزراء بحكم كوكس وقال بالحرف الواحد حسب ما جاء بمذكرات مس بيل انه يفضل حكم الاتراك ولا حكم الحجاز لذلك يجب ان تكون الصورة واضحة ان اعتبر فیصل غريب فلماذا يحكمنا حجازي ولا يحكمنا عراقي ، والشخص الثاني المعارض لتولي الامير فيصل حكم العراق والذي كان يطمح بالعرش هو السيد طالب النقيب نقيب البصرة وهو رجل له مراس قوي وشخصية قوية والبصرة كانت مزدهرة في عهده وكان أيضا يدير ويشرف اعمال واملاك امير الكويت في البصرة والمنافس الاخر للعرش الشيخ خزعل الكعبي في عربستان لكن عمليا كان طالب النقيب الاقوى وله مكانة وعضو مجلس المبعوثان المجلس النيابي العثماني وطموح وغير لائه كثيرا مرة مع الاتحاد والترقي ومرة مع حزب المعتدل الحر العثماني وهذا الحزب مزاياه كان يتبنى مبادئ الحكم الذاتي لغير الاتراك ومثبت في برنامجه السياسي للحزب استخدام اللغة المحلية للمجتمعات المختلفة لان الحزب مبادئه ليبرالية ويسعى الى الانفتاح الليبرالي لذلك انضم النقيب الى هذا الحزب تاركا الاتحاد والترقي المحافظ الذي يتبع سياسة التتريك

وعند صعود التيار القومي انضم النقيب الى هذا التيار الجديد تارك المعتدل الحر وبدء مع المد القومي العربي وبدعو الى استقلال العراق والذي كان يقصد به البصرة وبغداد دون الموصل ، وهنا الجدير بالذكر الموقف العراقي حول الطموحات للشخصيات العراقية لتولي عرش العراق وكانت هذه الشخصيات محل انتقاد متباين بين شخصية واخرى لانهم لم يكن لهم تمثيل شرعي عليه اجماع عراقي ، لأنه لم يكن وفاق عراقي على شخصية عراقية حيث الانقسام شديد حول اختياراتهم لان كان من يريد عبدالرحمن النقيب كانوا مرتبطين بالدولة العثمانية السابقة وهؤلاء لا يمثلوا كل العراقيين ، والعشائر السنية والشيعية لهم موقف آخر فبعض العشائر قالوا للبريطانيين لماذا تاتون بحاكم من الجنوب ونحن اعتدنا ان يأتي الحاكم من الشمال ويجب الحاكم البريطاني نحن من الشمال ويقصد بريطانيا ، وشيخا اخر وهو من الدليم قال اذا انتم البريطانيون متفقين على فيصل نحن متفقين ، وطرف اخر يقول نريد حكم بريطاني مباشر لا حكم زعيم عربي

بهذه الاوضاع المتصادمة تم اخراج التصويت على فيصل ليس بالانتخاب المباشر وانما ما يسمى بالمجالس اي مجاميع وجهاء المناطق وهذه المجالس دائما تتعرض للضغوط والتأثير بالحاكم البريطاني ، ومع ذلك لم تمر الاحداث كلها بسلا فالمراكز التي تشهد تحركات سياسية مثل بغداد جاءت بها مضايقات ومذكرات تنص على قبول فيصل قبول دستوري وقيام نظام برلماني ديمقراطي ، ومذكرات ومضايقات اخرى نصت على بصريح العبارة لا نريد ملك يتدخل بالسياسة وان يكون حاكم رمزي ، ولكن غالبية الالوية وافقت على الامير فيصل الا لوائيين هما كركوك والسليمانية موقفهما العام ضد فيصل وعندما حسم موضوع تنصيب فيصل بعث المعتمد

البريطاني السيد بيرسي كوكس رسالة الى تشرشل يهنئه بها وان تسعون بالمئة من العراقيين. يؤيدون فيصل

وهذا يجب معرفته ان فعلاً

من بين الوجهاء العراقيين وتحديداً من الشيعة كان متحمس الى فيصل وذهب مجموعة من الوجهاء وربما بتشجيع من بغداد للسفر الى الحجاز ويعلموا بيعة فيصل من هناك ومن هؤلاء الشيخ محمد رضا الشيباني والشيخ رايح العطية وآخرين ذهبوا الى الحجاز لبيعة الامير فيصل ويدعون ان يأتي ويكون ملكاً على العراق

اضافة الى ذلك في بغداد الضباط الذين يُسمون بالشريفين الضباط العراقيين الذين خدموا بتركيا والجيش العثماني وفي ما بعد خدموا في الحجاز والثورة العربية هؤلاء كانوا منظمين في بغداد وداعمين لمجيئ فيصل وارتبط مصيرهم بالأمير فيصل وتنصيبه ملكاً ، وعملياً هؤلاء الضباط الشريفين لتولي المناصب الجديدة في الحكومات المتعاقبة للعهد الملكي وكان تنصيبهم هو مكافئة لدعم فيصل بان اصبحوا مسؤولين حيث اصبح ياسين الهاشمي رئيس وزراء ومن ثم نوري باشا السعيد أيضاً واصبح هؤلاء الضباط الشريفين هم محور الحكم في العراق خلال الحقبة الملكية

من الواضح ان الطموح القومي الوطني العراقي لم يكن غائب عن ابناء بغداد وبالتالي في يوم تنصيب فيصل ملكاً على العراق في الثالث والعشرين من آب سنة 1921 ، قامت مظاهرات بقيادة شخصيات عراقية عروبية وطالبوا باستقلال ناجز وهذا يوصلنا الى حقيقة تاريخية واحدة ان التزام بريطانيا بأجراء انتخابات فُرض عليها كذلك الالتزام بقرارات عصبة الامم بأن تجري انتخابات حسب مقررات مؤتمر باريس سنة 1919

الحلقة 2 الجزء جـ

الادارة البريطانية للعراق

كانت بريطانيا تعرف العراق معرفة جيدة وكانت لها شركات في العراق منها شركة لنج وكذلك كانت لها بعثات اثار وتنقيب تبعت تقارير استخباراتية عن العراق ومنهم مس غيرتروود بيل باحثة ومستكشفة وعالمة اثار بريطانية التي اصبحت في ما بعد ذات شان سياسي كبير في العراق ولم يأتوا البريطانيون الى العراق عن جهل وانما عن معرفة فوضعوا افضل التقارير حول التركيبة العشائرية والسكانية للعراق كذلك الجانب الاقتصادي والتبادل التجاري الذي كان قائم بين بغداد ولندن ، هذا التبادل اعطى افكار وتصورات بريطانية مهمة لهم عن العراق فلما جاء الاحتلال البريطاني للعراق جاء متسلح بفهم واقع العراق ومع ذلك وقعوا بمشاكل وانقسامات في ما بينهم وبرزها بين المدرسة البريطانية الهندية ومدرسة بريطانيا في القاهرة ، حيث كانت المدرسة الهندية تريد من العراق وخاصة البصرة ان تُضم الى الهند وباقي العراق يكون خاضع للادارة البريطانية مباشرة وان لا يضاف الى الهند

هذا الطموح للبريطانيين الحكام في الهند والتي ينتمي اليها سير ارنولد تالبوت وبلسون الذي اصبح حاكم العراق العسكري بين سنتي 1919 - 1920 كان يتناقض مع طموح مدرسة القاهرة والتي لها هي الاخرى رأي آخر عن العراق

المدرسة الثانية وهي مدرسة القاهرة كانت لها فكرة مختلفة عن المدرسة الهندية وتقول ان اعباء الحرب في العراق اصبحت باهضة ولا نستطيع تحملها وعلينا ان نجد بديل للنفقات المكلفة وبالتالي البديل هو ان نأتي بحكم اهلي نمتص من خلاله النقمة في الشارع العراقي وبين هاتين المدرستين بقى الصراع مستمر الى ان قامت ثورة العشرين في العراق سنة 1920

الحلقة 3

مفاهيم سياسية

الاسلام السياسي

ان الملاحظ من استغلال الدين سياسيا ليس بالعمل السياسي الجديد في العراق وانما ارتبط بالدولة منذ نشأتها الاولى وتشكيل الدولة وهذا ليس في العراق فقط وانما في المنطقة برمتها ، واستغلال الدين سياسيا اصبح واضحاً بأن الدولة العثمانية باتت قريبة من انهيارها نتيجة خسارتها في الحرب العالمية الاولى ، وكان التخوف الاوربي في لجوء العثمانيين الى ورقة الجهاد الاسلامي مما دفع الحلفاء وبالذات فرنسا وبريطانيا بالعمل على مواجهة هذا الاحتمال فبريطانيا وحدها تحتل مصر والهند التي يقطنها ملايين المسلمين وممكن اي اثاره للعنصر

الجهادي الاسلامي يخلق مشاكل في هاتين الدولتين المسلمتين وكان من الضروري لبريطانيا وفرنسا مواجهة فكرة الجهاد الاسلامي وان تخوفهم من الجهاد كان اكثر مما يجب لان في واقع الامر ابناء المسلمين من عرب وغير عرب في مورد الثورة والدعوة والاستجابة للجهاد الاسلامي ، وهذا التخوف الزائد عن اللزوم لم يكن قدر حجم المواجهة المحتملة ، خاصة وان الدولة العثمانية بعد 1908 والدستور العثماني الجديد حيث نحت الدولة منحى علماني وفي ما بعد قومي تركي وبالتالي الدور الذي يلعبه الاسلام اخف من سابقه ، ومع ذلك سعت بريطانيا لمواجهة هذا الاحتمال الى كسب شخصيات اسلامية وذات نفوذ واهمية في المنطقة ابرزهم الشريف حسين حاكم نجد والحجاز وهو ينتمي الى عائلة شريفة تنتمي الى نسب النبي محمد ، وعليه بدئت مراسلات حسين مكماهون لكسب هذه الشخصية

في بداية الامر كان الشريف حسين غير مستعد لتلقي طلبات البريطانيين الا ان الحاجة لهم بعد ان قدم البريطانيين وعود بالاستقلال وانشاء كيان عربي مستقل جعلت هذه الوعود الشريف حسين اكثر استعدادا للتعاون معهم والدافع من هذا التعاون هو خوفه من العثمانيين في حال انتصارها في الحرب ستقضي عليه وفي حال خسارتها الحرب ستحول بريطانيا الحجاز الى مستعمرة وينتهي حلم الاستقلال وبالتالي كان الخيار بالتعاون مع بريطانيا تعاون مشروط باستقلال اكبر رقعة عربية هو الحل الوسط بين الاحتمالين وكانت هذه امنيته من هذا التعاون كسبت الدولة العثمانية آلاف من المسلمين الجزائريين والمغاربة الذين كانوا خاضعين للاستعمار الفرنسي ، كذلك جندت بريطانيا اكثر من مليون هندي بينهم عدد كبير من المسلمين للحرب العالمية الاولى ، وبالمقابل المانيا اعتبرت دور الدولة العثمانية الاسلامي لكسب المجندين بالدافع الديني دفع المانيا بدخول كحليف للدولة العثمانية لا ثقلها العسكري وانما لثقلها المعنوي وهذا كان رأي القادة الالمان واستثمار البعد الديني وخاصة فكرة الجهاد الاسلامي وهذه الفكرة كان مقتنع بها الحاكم الالمانى وبنفس الوقت يلاحظ ان استخدام الورقة الاسلامية في الصراعات السياسية قد برزت بشكل واضح في الحرب العالمية الاولى ولكن هذا الدور بقى عالق في ذهن الغربي ، وفي ما بعد نجد ان الفكرة مهمة بالتعامل البريطاني مع العراق واحتلال العراق واكثر من ذلك هذه الفكرة كانت مهمة بالنسبة الى الغرب بعد احداث الحادي عشر من ايلول سنة 2001 وفكروا الامريكان بان مواجهتهم لافغانستان يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار كيف التعامل مع العامل الاسلامي والشحن الاسلامي حتى في العراق يلاحظ ان الاسلام يستخدم فكرة الجهاد للعدو الخارجي وممكن حتى في كثير من الحالات الاسلامية العربية وغير العربية ، مثل ليبيا وحربها ضد إيطاليا عندما تمكن انور باشا ان يستثير حماس الليبيين وخاصة السنوسيين سنة 1912 ضد الدولة الطليانية وحقق انجازات باسم الاسلام ولم يحققها باسم اي هوية اخرى

ان فكرة ربط الاسلام بالعمل السياسي كانت لمرحلة طويلة من التاريخ تأخذ مكانة مهمة حيث حروب المسلمين ضد الفرنجة الصليبيين كانت دائما ما تحدث لكن في قرن العشرين اخذت تلعب الورقة الدينية بين المسلمين في ما بينهم ، فكانت الحركة السياسية الاولى بنجد في الجزيرة العربية هي الحركة الوهابية وهذه اعتبرت من واجبه الديني المسيس اصلاح امر المسلمين في انهاء والقضاء على تيارات دينية مغايرة للفكر الوهابي وبالذات الفكر الشيعي فكان هجومهم على النجف وكرلاء سنة 1922 يمثل صراع اسلامي اسلامي وليس عربي عربي او اسلامي صليبي ، كما ان الصراع ضد الاحتلال البريطاني للعراق لم يقابله باجماع شيعي ضده بموضوعة الدعوة للجهاد وان استجابوا له في بداية الامر لكن في ما بعد لم يعد الامر بالشئ المهم وكان من الممكن استثماره من الجانب العثماني الا ان العثمانيين اتخذوا مواقف ضد تحركات دينية في النجف والحلة والمعروفة شعبياً (دكة عاكف)

هذه الواقعة المؤلمة ابعدت المناطق الشيعية عن الدولة العثمانية وخاصة ابناء المدن الدينية وبالتالي لم يلعب الحشد الجهادي ضد البريطانيين دور مهم وانتهى هذا الدور البسيط بشكل نهائي بعد فشل القوات العثمانية في معركة الشعيبة جنوب العراق وانخفض مستوى اعداد ابناء العشائر في الجيش العثماني اضافة لذلك لم يستجيبوا كثير من ابناء المدن العراقية شيعة او سنة الى فكرة الجهاد ضد البريطانيين لان هذا يعني انخراطهم في الجيش العثماني وهذا موضوع الخدمة في الجيش عمل يتخوف منه الفرد العراقي وتعتبر الخدمة بالجيش العثماني نهاية محتومة بالموت ، فهذا كله لم يدع للورقة الجهادية اثر كبير للجهاد ضد البريطانيين بالمقابل استخدم البريطانيين الورقة التي استخدمت ضد الدولة العثمانية في تشجيع النزاعات القومية وجعلت من القومية العربية هي الورقة التي تقف ضد القومية التركية وهذا كله لم ينهي دور الهوية الاسلامية او الدين المسيس ودور الاسلام في الصراعات طوال قرن العشرين وانما برزت في مصر بقيام حركة الاخوان المسلمين وكانت تجمع اسلامي ضد البريطانيين ومحاربتهم في العقد الرابع من القرن العشرين وان الاخوان اول من نظر للدولة الاسلامية واول من استخدم السلاح السلاح والقوة في تحقيق اهدافه ، هذا الفكر الاخوان وفكر مفكره البارز سيد قطب تأثر فيه الفكر الاسلامي الشيعي تأثير كبير وبالذات في العراق من

خمسينيات القرن وانشئ كتل شيعي اسمه حزب الدعوة متأثر بالفكر الاخواني وفكرة على ان الشيعة ان ينظموا سياسيا باسم ايدلوجيا سياسية ويرفعوا السلاح واكثر من ذلك طورها الامام الخميني باسم الجمهورية الاسلامية بما يسمى ولاية الفقيه اي على الشيعة في العالم ان لا ينتظروا اقامة دولتهم بظهور الامام المهدي المنتظر وانما تأسسها لحين الظهور حتى وان كان بالسلاح والقوة ، هذا التقارب النظري ما بين الاخوان المسلمين وما بين طرورات التيار الاسلامي الشيعي انعكس بشكل واضح على انظمة عربية سواء في العراق او في مصر ولو بشكل جزئي ، لكن الذي جعل في حقيقة هذه الانظمة الاسلامية الوليدة جائت على ركام فشل التيارات القومية العربية او على فشل الجيل العربي القومي المتمثل بجمال عبدالناصر والبعثيين والقوميين العرب بشكل عام ، وفشلهم بتحقيق اهدافهم مثل الوحدة وتحرير فلسطين ، هذا الفشل جعل البديل هو التيار الاسلامي لكن البديل الاسلامي مشكلته ان البلدان مقسمة طائفيًا وبديل من مواجهة العدو الخارجي اخذ يصارع نفسه اسلاميا واخذ منحى طائفي وعمليا يعبر عن المذهبية السياسية والطائفية السياسية وليس موقف التيارات الاسلامية يعبر عن موقف ديني مشترك ، كما نلاحظ التشيع السياسي اصبح ورقة بيد ايران والاخوانية بيد الخليج والوهابية بيد المملكة العربية السعودية ، والدور القومي الذي كانت تلعبه مصر كراعي لفكر مدني اصلاحي ربما غير ديموقراطي المتمثل بجمال عبدالناصر انتهى ولم يستطيع ان يقف امام التيار الاسلامي المتمدد وما شهدناه قبل سنوات من صراع في مصر ايام محمد مرسي يعكس لنا كيف التيار الاسلامي انخرط في مستنقع الصراعات الداخلية وهذا انعكس على الحركة الوطنية الفلسطينية فالتيار الاسلامي في فلسطين اصبح عامل انقسام للفلسطينيين رغم ان جميعهم ينتمون الى طائفة مذهبية واحدة

بعد ما كان الجهاد الاسلامي على مدى التاريخ صراع ضد عدو خارجي كالفرنجة والصليبيين تحول هذا الفكر الجهادي الى صراع داخلي جعل من نفسه غطاء لصراع قومي اوسع يشكل واضح عندما اخذت ايران الفارسية اسلام سياسي شيعي واخذ الخليج ودوله العربية اسلام سياسي سني لذلك نجد المنطقة العربية تعيش حالة تمزق ديني وقومي لا نعرف ما الذي يربط بعضنا ببعض ان كنا عربا نجد الكثير يجعلوا من هويتهم القومية حالة من الفشل والتمزق وان كانت روابطنا وطنية تراجعت وتقرمت واصبحت طائفية ، هذه الخلطة جعلتنا نسال انفسنا سؤال ، هل سقوط الدولة العثمانية كان مفيد لنا كعرب ام اساء لنا ؟

ان انحلال الدولة العثمانية شبيه تاريخيا بانحلال الاتحاد السوفياتي لاحقا وبطريقة سلمية لم تتعاطى دول غرب اوربا مع المناطق السوفياتية السابقة تعامل استعماري وانما احتضنتها واحتوتها لخلق اوربا ديموقراطية مدنية مستقلة ، وهذا الذي حصل في اوربا يعطينا نموذج لتحلل الدول السوفياتية لصالح كيانات مما كانت عليه ، اما الذي حصل في المنطقة العربية ان اندحار الدولة العثمانية بالطريقة التي تمت بها من خلال حرب عالمية عسكرية مباشرة ومعاهدات السلم المفروضة على الدول المنهزمة حول المنطقة العربية الى لقمة سائغة يتنافس عليها ليس فقط الاستعمار البريطاني وانما حتى اوربا وبذلك ما يقال عن حقبة سايكس بيكو التي بقيت محافظة على وجودها ما يقارب القرن نشهد اليوم الحدود المرسمة في الاتفاقية لم تاتي غرضها ونحن اليوم ليس فقط في العراق وسوريا وانما بالمنطقة برمتها نعيش صراع اساسي هو صراع الهوية

وهل سنعيش ونتنقل الى حكم طوائف ام سننتقل الى صحة عربية جديدة او نعيش حالة من الحروب كما اوربا في القرون الوسطى ؟

لكن التاريخ الواضح لا القومية استطاعت ان توحدنا ونحن عرب ولا الاسلامية استطاعت ان توحدنا ونحن مسلمين والحركة الاسلامية جائت ردة فعل على فشل التيار القومي التي لم تستطيع ان تحقق الرفاه ولا الاستقرار والسلم الاهلي والان نجد انفسنا في من الامور وضع المنطقة اسوء مما كان عليه في حقبة الاحتلال الاجنبي الاوربي للمنطقة

كذلك الجانب العملي لهذا المفهوم الاسلام السياسي دائما ياخذ موقف الصراع في المنطقة ما بين الحداثة والعلم والتنوير وما بين المحافظة والجمود ، حيث هذين التيارين دائما في حالة صراع باطار سياسي حيث يُتهم الحداثيين من قبل الاسلاميين بالميول للغرب والهوية الغربية الغربية عن المجتمع الاسلامي المحافظ علما ان العلوم العربية في القرون الوسطى كان الغرب يستفاد منها وهذا التبادل الحضاري الثقافي والمعرفي ليس عيب على اي طرف متلقي ، كذلك ان التيار الاصلاحي الحداثي التنويري في المناطق العربية لم يحقق خطاه وكثير من الانفتاح الفكري وخاصة في مصر والعراق ايام المفكر علي الوردي والشاعر معروف الرصافي نجد ان تلك الايام انتهت لصالح لصالح التشدد الاسلامي وفقدان البوصلة السياسية التي اضاعت كل الهويات الاسلامية والقومية والوطنية

تقييم المرحلة الفيصلية

كان الحكم العثماني اسلامي سني وكان النظام يتعامل مع غير السنة بالتهميش وليس بالاضطهاد وانما الاهمال وكان الفرد الشيعي او المسيحي او اليهودي تعطى لهم الحرية في التعبد واقامة الطقوس الخاصة بهم ، لكن لا يتساوون مع المسلم السني في التعامل الحكومي من حيث التوظيف والشأن السياسي

عند مجيء الاحتلال البريطاني للعراق اصبحت ردود الفعل متباينة من منطلقات متباينة فبعض العرب السنة في المدن والذين كانوا يعتبرون انفسهم بقايا العهد العثماني تخوفوا وارتابوا من الاحتلال البريطاني وبدت عواطفهم مع العثمانيين والضباط الذين لعبوا دور مهم في ثورة الشريف حسين كانوا متحمسين لاقامة دولة عربية في العراق ، الشيعة كذلك تباينت مواقفهم من جهة الى اخرى لكن اكثرهم اتخذوا موقف الترقب ، وفي ما بعد ونهاية الحرب اخذ جناح اساسي معادي للحكم الجديد

وكان السؤال التاريخي كيف على النظام الجديد ان يللم كل هذه التناقضات ومن بعضها عندما شكل اول مجلس حكم بريطاني في بغداد اعتمد السير بيرسي كوكس شكله برئاسة السيد عبدالرحمن النقيب وشكل المجلس من شخصيات عربية سنية فقط وضم لاحقا شخصية يهودية واحدة ولم يضم اي شخصية شيعية وبضغوط بريطانية بضم شخصية شيعية

وهذا النموذج يعطي شعور ان البريطانيين لم يكونوا ضد الشيعة ويريدون استقرار البلاد ويغنون الى دمج الشيعة بالحكم شرط ان لا يتناقض مع المصالح الاستراتيجية البريطانية وهذه نقطة سنشاهدها متلازمة للعهد الملكي طوال حكمه وهي المصالح البريطانية والمصالح العراقية وكيف تلتقي وكيف تتنافر ومما نذكره لم يكن في وزارة النقيب شيعي واحد فقط الى ان اصبح للشيعة في الخمسينيات اربع رؤساء وزراء كذلك وزارة محمد فاضل الجمالي ، والقياس هنا ما بين العهد العثماني والعهد الملكي وتطور الدمج المجتمعي والسياسي للشيعة العراق حيث خلال اربعة عقود من العهد الملكي اصبح اربع رؤساء وزراء وفي العهد العثماني الذي دام حكمه اربعة قرون لم يكن للشيعة اي دور سياسي على الاطلاق لا رجال دين ولا ابناء مدن ، واذا بغضون اقل من نصف قرن وتحديدًا خلال ثلاثين سنة يحققوا قفزة غير مسبوقة في الحكم ، كذلك على صعيد التعليم والاقتصاد وغيرها وهذه الامور تقاس بمقياس نسبي وليس مطلق فخلال ثلاثين سنة من العهد الملكي حقق الشيعة العرب في العراق ما لم يتحقق في اربعة قرون من العهد العثماني

يمكن القول ان ما تحقق لا يتناسب مع حجمهم السكاني وصحيح هذا القول ، لكن يجب ان تؤخذ الامور بالتدرج في الاندماج الاجتماعي لا بالعصى السحرية وانما الموضوع يحتاج الى تحول مؤسساتي واول شئ قام به العهد الملكي هو التعليم وجعله مجاني حيث ارتفع عدد الطلاب في المدارس الثانوية من الفين طالب سنة 1930 الى اربعة عشر الف طالب سنة 1940 اي في عشر سنوات فقط ، وهذه الطفرة في مرحلة مهمة كان واضح عليها غرز بذرة وطنية بالمبادئ العروبية وبدء الحديث بادبياتهم وامور اخرى كالكشفة وبأن العراق عربي وتعزيز مفهوم العربية وثورة الحجاز وكل هذه المفاهيم هي خطوات خلقت وعي وطني عراقي عربي الذي يوحد الشيعي والسني ، اذ كانت سياسة وزير المعارف ساطع الحصري وله الفضل الكبير في توسيع التعليم وركز على بغداد واعتبر بغداد التي تخلق فئة كبيرة من المثقفين وهؤلاء بدورهم يقومون بتنقيف الالوية والاقضية المختلفة ومن بعد ساطع الحصري جاء محمد الجمالي الذي شعر باهمية التعليم قام بافتتاح مديريات المعارف (التربية) في كل الالوية مما سرّع عملية التعليم بوتيرة اكبر من سلفه ساطع الحصري في الالوية والاقضية والدكتور فاضل الجمالي خلال رحلته الى الولايات المتحدة الامريكية تأثر بالمفكر التربوي الامريكي جون ديوي الذي كان يعتبر الثقافة والتعليم هي حجر الاساس لبناء الامة ، وفعلا هذا ما حصل في العهد الملكي عن طريق المدارس وبدء التركيز على ما يجمع العراقيين لا على ما يفرقهم

نتيجة هذه السياسة التربوية تقلص عدد المدارس الدينية في النجف لان الطلاب اصبح بديل لهم المدرسة الحكومية عن المدارس الدينية التي كانوا يتلقوا فيها التعليم حيث تقلص عدد الطلاب من ثمانية الالف طالب في مطلع قرن العشرين الى اقل من الفين طالب سنة 1957 ، اي ان الدراسة المدنية بدئت تطغي على الدراسة الدينية لان الدراسة المدنية توفر فرص عمل اقتصادية واجتماعية للمتخرج منها وهذه فرص العمل اصبحت ذات اهمية اكثر من لبس العمامة وبذلك اصبح الافندي هو الشخصية المقبولة اجتماعياً والمتعلم والموظف اكثر وجاهة من لبس العمامة مهما كانت شيعية او سنية

هذا الامر بدء يوحد العراقيين من منطلق الثقافة والتعليم وكذلك شئ اخر وخلال هذه الفترة ارتفع عدد الطبقة الوسطى والتي لم تكن تتجاوز نسبتها خمسة او عشرة بالمئة الى ان وصلت الى ثلاثين بالمئة في نهاية الخمسينيات وانعكس هذا التطور العام على المدن الشيعية ففي

سنة 1958 احتل الشيعة خمسة عشر مقعد في غرفة تجارة بغداد من مجموع ثمانية عشر مقعد وعطل بدون شك اعطاهم ثقل اقتصادي اساسي في العراق وكذلك في الثلاثينيات من النادر ان يدخل الكلية العسكرية من ابناء الشيعة وفي الخمسينيات فتحت الابواب لهم وحتى في الستينيات بحكم عبدالكريم قاسم فتحت الكليات في العراق للجميع بغض النظر عن الدين او العرق فقط شرط الدراسة والكفاءة واصبح الجيش حاضنة وطنية وليست حاضنة طائفية وبالتالي لبس الخاكي وحد العراقيين

واكثر من ذلك اصبح الجندي الذي يخدم في الجنوب هو من ابن الشمال والعكس بالعكس واصبح المواطن يتعرف على وطنه ويقدم الخدمات الامنية الوطنية حيث بداية نشأة الجيش لم تكن ميسسة وباللحظة التي بدئت بتسييس الجيش بدئت المشاكل كذلك الاندماج الاجتماعي انعكس حتى على المعارضة ، فالمعارضة السياسية لم تعد شيعية او سنية ضد حكم طائفة اخرى وانما معارضة وطنية ضد حكومة فالشعارات التي تجمع المعارضة (نريد استقلال ناجز) او (رفع الهيمنة البريطانية) وبدء للعراقيين مشتركات تجمعهم مع بعضهم اساسي ففي الثلاثينيات اسس اسس الحزب الوطني بزعامة الوجيه محمد جعفر ابو التمن وكان يملك من العفة والشهامة والوطنية نادرة فعندما عرض عليه ان يشكل حزب شيعي رفض ذلك واصر ان يكون حزب عراقي وتحالف ضمن هذا الحزب شخصيات سنية مثل ياسين الهاشمي ولعب دور مهم كبير خلق واجهة سياسية عراقية عربية وليست طائفية شيعية او سنية ، هذا التراكم الوطني استفاد منه العهد الجمهوري وخاصة عهد عبدالكريم قاسم فبعد انقلابه المفاجئ سنة 1958 كان هناك اساس لوحدة وطنية اي معارضة قوى وطنية ضد حكومة مرتبطة ببريطانيا او حكم رجعي وكل هذه المسميات المعارضة للحكم الملكي آن ذاك ولم تكن تحمل النفس الطائفي سني او شيعي وعليه جئت او حكومة لعبدالكريم قاسم صمت الشيعي والسني والكردي وكانت نموذج للوحدة الوطنية التي تعارض العهد الملكي وناخذ مثال على ذلك حزب البعث في سنة 1958 كان ثمانية اعضاء من اصل سبعة عشر عضو قيادياً من الشيعة بما فيهم امين عام الحزب فؤاد الركابي حيث كان الانتماء الى حزب البعث لم يكن انتماء طائفي وانما انتماء سياسي ضد حالة سياسية وحسب رأيهم ان هذا النظام اي الملمس مرتبط بالناج البريطاني وهم له معارضين حيث هذا العنصر وهو محاربة الاستعمار والمطالبة بالاستقلال الناجز وحد العراقيين بأطيافهم والفكر العربي آن ذاك كان يعطي غطاء حتى اكبر من الطائفية وبدء الشيعي يحقق اهداف كبيرة من خلال البوابة العربية واذا نجد ابرز حزب عربي قومي قبل حزب البعث هو حزب الاستقلال برئاسة السيخ مهدي كبة والرجل الثاني في الحزب هو محمد صديق شنشل من الموصل ، وهذا كان نموذج حي للاندماج الاجتماعي وبالحيقة والفضل كل الفضل للحبوكة السياسية التي كانت موجودة في العهد الملكي الفيصلي ولا نقول ديموقراطية بالمعنى الغربي وانما كان هامش من الحرية الكافي لانشاء هذه المعارضة ان تندمج وتتحد

هذا الانتقال من التحول بالوحدة الوطنية العراقية من المؤسف في العهد الجمهوري وخروج البريطانيين بالاستقلال الناجز بدل ما بينوا على ذلك دولة مدنية وتطورها تحولت الى صراعات والعودة الى الخلف والعودة الى الطائفية كما حدث في الثمانينات الى ان اصبحت الصورة قائمة ومظلمة بعد الاحتلال الامريكي للعراق

ان التطور في الاندماج الاجتماعي اهم نقطة يجب الانتباه عليها عند استقرار اي بلد يجب ان يرتبط بالازدهار الاقتصادي وهذا الازدهار نتاج دولة ناجحة ادارياً وسياسياً يعمم فوائده على خلق طبقة وسطى ، فمثلا كنا نجد مركبة سيارة او اثنتين ثلاثة في بغداد مع اواخر العهد العثماني اما في الخمسينيات اصبحت الشوارع تعج بالخدمات والعجلات الحديثة وتوسع ابناء الطبقة الوسطى وتضم رجال اعمال وتجار ومهندسين واطباء الذين تناموا وتزايدت اعدادهم في العهد الملكي فالفردي من الطبقة الوسطى لا يريد ان يترك عمله ووظيفته حتى يصبح وزير او نائب في البرلمان

فهذه الطبقة تريد استقرار لتشغيل العمل وزراعة الاراضي وهذه الطبقة بدئت ترسو على حزب الاستقلال وقبلهم الاخاء وقبلهم الحزب الوطني الديموقراطي لمصلحتهم الاقتصادية والاستقرار الاقتصادي

الحلقة 5 أ

مفهوم الاندماج الاجتماعي

لا بد ان نتطرق الى العشائر وعملية دمجها الاجتماعي في العراق الجديد عراق العهد الملكي ، وان العشائر وبالذات شيوخها يمثلوا مكون اساسي في التركيبة الاجتماعية العراقية هذه المؤسسة العشائرية سنكتشف انها ملاسقة للتطور السياسي في العراق وكان لها تأثير احيانا

ايجابي والاخر سلبي ، والتأثير الايجابي بالطبع هو مساهمة العشائر في ثورة العشرين ولدوافع مختلفة ولكن لهم دور سلبي في مجالات اخرى
ان احتلال العراق من قبل بريطانيا لم يصطدم بالعشائر في مراحل الاحتلال الاولى وانما تركيز الاحتلال على المدن البصرة وبغداد ومن ثم لاحقا الموصل ، بعدها نجد ان السياسة البريطانية ارادت ان تقلص مصاريفها ونفقاتها المالية بدئت بفرض الضرائب واصبحت جادة بجمع الضرائب كما كانت الدولة العثمانية تعمل ولكن بصورة افضل من سابقتها ، اضافة الى ذلك اعتمدت السياسة البريطانية الى حكام سياسيين بريطانيين غالبيتهم من الشباب وليس لديهم خبرة بالمنطقة واحيانا سوء الفهم يخلق مشكلة للعشائر من الحكام هؤلاء وحصل نفور وبدء يزداد الامتناع عند ابناء العشائر من سلوك الحكام السياسيين ومن صرامتهم في جمع الضرائب والتي لا تريد العشائر بدفعها وهذه نقطة اساسية للبدء بمناوئة السلطة الى ان وصلت الاحداث الى قيام ثورة العشرين

حيث وجد العشائر التي قامت بالثورة في ما بعد وفشل الثورة ودحرت عسكريا ، لكن كان لها دور اساسي مهم في تطور السياسة العراقية وهو الوحدة الوطنية ، حيث هذه الثورة جمعت لأول مرة الشيعي والسني معا في مواجهة بريطانيا والتفوا لاسباب مختلفة فالضباط الشريفيين مستائين من بريطانيا وحكمها المباشر ومنع اعطاء سلطة هؤلاء الضباط ، والوجهاء من العرب السنة في البصرة وبغداد بدؤا يشعرون ان مكائتهم بدئت تزعزع ولا تزال عواطفهم عثمانية ، وشعور العشائر هم من قاموا بالثورة ضد العثمانيين سابقا ولكنهم لم يحصلوا على شئ من هذه الاسباب التي ساعدت العشائر على خلق روح الوطنية ضد الاحتلال التي كرسث الثورة سنة 1920 بنجاح ليس عسكريا وانما كلفت الحكومة البريطانية من الاموال ولذا كان ونستون تشرشل وهو وزير المستعمرات في وقتها ويطمع ان يكون له دور ثان في الحكومة البريطانية عن طريق تسنم وزارة المالية البريطانية ، ويسعى لتقليل النفقات العسكرية في العراق من هنا كانت الثورة قد دفعت البريطانيين ان يغيروا سياستهم ويعتمدوا سياسة الحكم المحلي باشراف بريطاني غير مباشر ، واذا قال تشرشل اعتماد فيصل هو الخيار الارخص والافضل لانه سيوفر الاموال للخرينة البريطانية بهذه المرحلة الحالية مرحلة ثورة العشرين
كان دمج العشائر بدون شك ابتداءً من خلال عملية التعليم التي لعبت دور مهم وانتشارها بدء ببطئ وخاصة في الريف ، وان الملك فيصل شعر لدمج العشائر بالذات الجنوب والفرات الاوسط بدء لكسبهم وتحميلهم مسؤولية ادارية بفرض الامن وجمع الضرائب
ان التقاليد العشائرية والاعراف العشائرية في فض النزاعات والصراعات لا يمكن ان تطبق عليها القانون المدني والقواعد المدنية القانونية المتعارف عليها في العالم الحديث ، لذلك شرعت السلطة قانون مهم اسمه قانون العشائر سنة 1924 هذا القانون من ناحية هذه العشائر وجعل مشاكلهم تحل بالعرف العشائري لكن من جانب اخر خلق مجتمعين مجتمع محكوم بقانون مدني ومجتمع محكوم بقانون عشائري الى ان الغية القانون بسقوط العهد الملكي سنة 1958

ان العقبات امام دمج العشائر اجتماعيا عديدة اولها العقلية العشائرية معتمدة على الولاء للعشيرة ومصلحة العشيرة اولا وليس مصلحة الوطن ، وتحد الصراعات القبلية والعشائرية بين عشيرة واخرى تنعكس على موقفهم مع الحكومة فاذا عسيرة ما وقفت مع الحكومة فان العشيرة المتخاصمة معها تقف مع المعارضة
فالصراعات بينية وليست اختلافات سياسية واختلاف على سياسات الحكومات وبالتالي العشائر في الفرات الاوسط والجنوب تعاملوا مع من يعطيهم الامتيازات ورعاية المصالح ، هذا النموذج من الصراعات عرقل دمج العشائر وتحويلهم الى عنصر او ورقة سياسية في الصراعات السياسية وهذا ما حصل في الثلاثينيات تحديدا وخاصة بعد وفاة الملك فيصل الاول حيث كان فيصل يعمل بسياسة كسب العشائر وكان كثير من رؤساء العشائر وخاصة في الفرات الاوسط لباس الرأس هو العقال وغيرها لكن تدريجيا ليسوا اللباس المدني وكثير منهم اصبح له دار سكن في بغداد او على الاقل في مركز محافظته ، بعد وفاة الملك ان السياسيين وسياسيي بغياب شخصية كاريزمية مثل الملك فيصل ومحبي شاب حديث العهد هو الملك غازي شاب صغير السن وقليل الخبرة والتجربة ، بدء السياسيين المخلصين يبرز دورهم اكثر فمن هنا بدئت القوى السياسية المتنازعة في بغداد تطفو على السطح ، ومثالا على ذلك تحالف حزب الاخاء بزعامة ياسين الهاشمي مع عشائر معينة وعندما يريد الوصول الى الحكم يحرك هذه العشائر لمهاجمة الحكومة واقامة ثورة ضدها والعكس يأتي علي جودت الابوبي الى الحكم ويتوجه الى عشائر اخرى مناوئة لتلك العشائر الساندة للخصم المقابل وتجنى المكاسب السياسية على حساب العشائر ، هذه اللعبة باستخدام العشائر في صراعات بغداد لعبت دور مهم في إنهاك العشائر وعرقلة اندماجهم الاجتماعي واكثر من ذلك تبقى العشائر غير قابلة للتطوير الايجابي مما ادى تدهور وضعهم الاقتصادي وخاصة في حوض دجلة
من هنا نجد ان شوكة العشائر المسلحة قُسم ظهرها بشكل نهائي في سنة 1935 عندما حشد الفريق بكر صدقي لعملية عسكرية بعد ما قاد عملية عسكرية ضد الاثوريين وقمعهم ، وقاد

صدقي عملية عسكرية ضد العشائر عملية عسكرية واسعة في الفرات الاوسط وانهى دورهم المسلح في العراق ، وهنا يجب ان نميز بين التركيبية العشائرية في حوض دجلة عن الفرات الاوسط من الملكية للاراضي ، فملكية الاراضي فملكية الاراضي في حوض دجلة كانت واسعة لمئات الالاف من الدونمات لشخصيات معدودة لشيوخ العشائر وملكية الاراضي في حوض الفرات الاوسط كانت محدودة الحجم لكن موزعة على اعداد كثيرة من شيوخ العشائر مما يجعلهم اكثر رفاه اقتصادي بالنسبة لانباء العشائر في حوض الفرات لذلك وعيهم السياسي عالي وتمتعهم باستقلال نسبي عن الدولة العثمانية مقارنة بانباء حوض دجلة ، وحتى في الحكم البريطاني الاول اي قبل ثورة العشرين بالنسبة لحوض الفرات وقرب المنطقة من النجف وكربلاء تملكهم الوعي السياسي اكثر من غيرهم واذا كانوا في البداية معتمدين على رجال الدين في اتخاذ المواقف وحتى بايام ثورة العشرين كان يتفاوض البريطانيون مع قادة الفرات الاوسط يردوا عليهم لا تحدثونا وانما تحدثوا مع علماء الدين ، هذه الحالة بدئت تتغير في عهد فيصل الاول عندما بدء فيصل يحاول ان يفصل العشائر عن رجال الدين وبدء البريطانيون يتعاملوا مع العشائر بصورة مباشرة لا بواسطة رجال الدين ولذا فان عشائر الفرات الاوسط تملك هذا الوعي السياسي الجديد وكثير منهم انخرطوا في احزاب سياسية ، والاكثر من ذلك انبائهم دخلوا الجامعات واكملوا الدراسات العليا ، واعطي مثل بعض الشيوخ الذين صاروا وزراء كانوا محل انتقاد لانهم لا يملكون شهادات أكاديمية ، ونفسهم هؤلاء الشيوخ تمكنوا في الخمسينيات ان يخلقوا طبقة أكاديمية ومثقفة من ابناء عشائرتهم ومثال على ذلك في محافظة الديوانية قضاء الشامية التي ينحدر منها الدكتور غسان العطية في العشرينات لم يكن هناك متعلم واحد في المدرسة الثانوية واقصى ما عندهم هي القراءة والكتابة تعلموها من الكتاتيب الدينين وما يسمون بالملا ، وفي الخمسينيات نجد ابناء الشامية خرجت الكثير من حملة الشهادات العليا

هنا وفي هذا المثال الحي نرجع الى عملية الاندماج الاجتماعي عبر التعليم ، وبدل ما يكون ابناء العشائر ان يلعبوا دور الشيخ من جديد تحولوا الى موظفين ورجال اعمال وانتقلوا الى بغداد لتسئم مناصب سياسية ، فهذا هو الاندماج الحقيقي

اضافة الى ذلك حافظوا على الوحدة العشائرية نتيجة محدودية الملكية الزراعية اذ لم تكن اقطاعيات كبيرة عكس حوض دجلة كان هناك بمعنى الكلمة الاراضي كلها مسجلة باسم شيوخ معدودين وليس باسم الفلاحين انفسهم

وتحول الفلاح من شريك في الفرات الاوسط الى اجير في حوض دجلة واصبحت المعاملة مع الفلاح اقرب الى العبودية بدل المشاركة ، هذا التباين الاجتماعي الاقتصادي في العراق لم يتمكن العهد الملكي من فهمه وتداركه وخطأ في التعامل مع هذه الظاهرة في حوض دجلة ولم يستطيع بالاصلاح الزراعي والاقتصادي والنتيجة كانت هجرة الفلاحين من الريف الى خاصة من العمارة والكوت والناصرية الى بغداد ، وهؤلاء المهاجرين عاشوا في عشوائيات على شكل اكواخ في بغداد وعند مجيئ عبدالكريم قاسم الى السلطة نقلهم الى مساكن في حي واحد سمي باسم مدينة الثورة ولاحقا مدينة صدام والان تسمى مدينة الصدر

هذه المدينة في الاصل هي هجرة الريف الشيعي الى بغداد نتيجة عدم وجود رفاه اقتصادي وهؤلاء المهاجرين كانوا المادة الخصبة للثورات والمظاهرات في ما بعد ، ان هذه المادة البشرية نتيجة الاستياء الاجتماعي كانوا ايضا مادة خصبة بيد الاحزاب اليسارية كما اصبحوا مادة خصبة بيد الاحزاب القومية والان اصبحت مادة خصبة بيد الاحزاب الاسلامية فان كانوا يساريين او قوميين او اسلاميين فهم في الحقيقة انعكاس لحقيقة واحدة هو نتيجة فشل العهد الملكي في اندماجهم اجتماعيا ولو ان تطور وضعهم الاقتصادي في مناطقهم الاصلية لكان قد حصل تغيير في الوضع الاجتماعي لان العنصر الذي يوحد العراقيين ليس الحماس القومي او الشعارات الرنانة وانما يوحدهم الاقتصاد كما يوحد اي بلد اخر

ان العهد الملكي استطاع ان يوحد قفزات خاصة عبر مجلس الاعمار لكن ما يؤخذ على مجلس الاعمار اهتم بالمشاريع الاستراتيجية ولم يهتم بالمشاريع المباشرة مع المواطن والتي تعطي زخما شعبيا للحكومة ، قلو ان مجلس الاعمار ان ذاك قام بعملية اصلاح اجتماعي في مدينة العمارة مثلا وقام ببناء الدور والمدارس والحد من صلاحيات شيوخ العشائر لكان كثير من مشاكلنا الان غير موجودة اساسا وهذا ما يؤكد ان العشائر تضعف عند قوة الدولة وفرض سيطرتها وتحقيق الرفاه الاقتصادي ، وتزداد العشائر قوة كلما ضعفت الدولة

وفي السبعينات كان حزب البعث علماني مدني فقرر عدم استخدام اللقب العشائرية ورفضها وبدء يسجل المواطن في معاملاته الحكومية باسمه الثنائي او الثلاثي فقط دون ذكر اسم العشيرة التي ينتمي اليها المواطن ، ولكن في التسعينيات وبضعف الدولة ولغرض سياسي معين عادت السلطة البعثية مرة اخرى الى العشيرة وتقوية العشيرة وتسجيل اسماء المواطن مع ذكر اللعب العشائري وبدء بتأسيس مكاتب للعشائر وفتح سجلات وتمويل العشائر وتعيين شيوخ العشائر بما يسمى شيوخ الحكومة والتي لا تختلف عن سياسة بريطانيا بمساعدة من يحاييهم ويقف معهم والذي يعارضهم يحاربون باي شكل من الاشكال

هذه السياسة التي اعتمدتها سلطة البعث في التسعينيات اعادت دور العشائر ونجد تدريجيا عند مجيء الاحتلال الأمريكي للعراق التفسخ الاجتماعي وانهيار الدولة مما جعل الناس تلجئ الى العشيرة والطائفة لانعدام القانون المدني الى ان اصبحت بغداد عمليا مدينة ريفية ان كان من الريف السني او الريف الشيعي وهذا الترفيف خلق بدوره محتنا متخلف واندثرت كثير من الانجازات الاجتماعية التي تحققت سابقا

هذه الظاهرة جعلت من العشائر مشكلة كبيرة في العراق والان التطور الحديث الذي نسمع به هو الصراع السياسي يأتي طرف امريكي يدعم العشائر وتسليحها وطرف يعرض ذلك وهذا سيبقي المشكلة قائمة ويجب الاستفادة من تجربة الملك فيصل الاول ببناء جيش قوي بدل من بناء قبائل متناحرة ومسيبة وقيام جيش وطني حرفي وليس جيش طائفي

وستبقى الانتماءات الطائفية تخلق الميليشيات والانتماءات القبلية وتخلق مسلحين يدقون اسفين بالكيان العراقي ولا مجال لقيام الوحدة الوطنية الا بتجاوز هذه العقبات ، فهل ممكن تحقيق هذا المطلوب

في العقدين الثالث والرابع زمن القرن الماضي شهد العراق اندماج اجتماعي نسبي وفي العقد الخامس انتهى النفوذ العشائري بقانون الاصلاح الزراعي رغم فشل تحقيق اصلاح زراعي لكنهم انهدت السلطة النفوذ ولم تتمكن من الاصلاح ، لحقت ذلك مشكلة عدم ارضاء ابناء العشائر وبالتالي نتج استياء تحول الى نقمة سياسية والان المشكلة الاساسية في العراق عودتنا الى الى عشائرتنا التي لا تُحل مشكلة وانما تعقدها وتعمق الانقسام فبدون عودة الى جيش قوي وموحد لا مجال للحديث عن عراق موحد فاذا كان ييشمركة للاكراد وحشد شعبي للشيعية وما شابه ذلك للسنة فهذا يخلق اسس للانقسام الطائفي والقومي وربما تفكيك الدولة بكل معنى الكلمة

الحقبة 6 - أ

نشأة العراق واقامته

في محاولة لاستعراض تاريخ العراق بمفاهيم معينة وقضايا معينة ، ان العراق كدولة ناشئة عاش احتلال بريطانيا سنة 1917 وخلق هذا الاحتلال دولة اسمها العرق من الولايات الثلاث بصرة موصل بغداد ، والاحتلال الثاني بقيادة الولايات المتحدة الامريكية انهى الدولة وهذا مهم في قراءة التاريخ العراقي وبذل ان التعامل مع الاجنبي ليس بالضرورة كله شر وليس بالضرورة كله خير ، وتعاون العراقيين مع بريطانيا له جوانب ايجابية في بناء الدولة الا ان الكره العاطفي الاجنبي ويجب معرفة ان الشعب العراقي ابا ان الاحتلال البريطاني كان يعمه الجهل والتعليم البسيط وباجة الى دعم ومساعدة لاقامة دوله له ، كما حدث في اليابان والفلبين وماليزيا ، لكن المشكلة في العراق الضمير السياسي العراقي لكره الاجنبي وعدم فهم المقابل ممكن ان يولد خطأ في التعامل كذلك ممكن ان يكون خطأ الاجنبي نفسه ، وبعد المراجعة لمئة عام من هذا التعامل المثير نجد ان التعامل على اساس وجود مصالح اجنبية بحتة وليس على الاجنبي الاستعداد للتضحية بها لمبادئ عامة اسمها ديمقراطية واستقلال ، كذلك هناك مصالح عراقية ثابتة وهي في الحقيقة غير واضحة للعراقيين انفسهم لانهم لا يتفقوا على صيغة عمل مشتركة وصيغة عيش مشترك وهذا المشترك ليس نتاج عمل وانما مسعى بريطاني لدمجهم وخلق دولة

العراقيين كانوا يلعبوا دور التنافر والتمزيق لهذا الانسجام الاجنبي لاغراض سياسية من عشائر ورجال دين وابناء مدن وعسكر وقوميات مختلفة ، ولم تكن القوة تجذبهم للتوحيد وانما الدور البريطاني هو العامل المساعد في تقريبهم لذا كان للبريطانيين دور ايجابي في تقريب العراقيين لبعضهم البعض ، وان اختيار فيصل جاء بارادة بريطانية وخدم العراق ربما افضل من اي حاكم عراقي يخدم العراق والبعض يهاجمه انه غير عراقي وله مصالح ذاتية الا ان الجانب الاخر هو الفكر السياسي العراقي اثناء الحرب العالمية الاولى وبداياتها رفعت شعارات دون استيعاب محتواها ، فاذا كان المطلب الديمقراطية اولا يجب ان يكون لدينا مواطن اولا وليس ابن عشيرة وابناء طوائف فهذه التركيبة الاثنية والقبلية لا تستوعب الديمقراطية لان المواطن غائب ، لذلك ان خلق مواطن وخلق دولة مدنية بحاجة الى اولويات لم تكن موضوعة بشكل صحيح والدور البريطاني هو التقريب والتعريف لهذه المفاهيم ، لذلك العراق بحاجة الى مؤسسات واقتصاد ومواصلات وتعليم وصحة وامن ، كل هذه البنى التحتية ولاحقا الثروة النفطية كانت بحاجة الى حليف قوي

لعبت بريطانيا دور اساسي في ترسيم حدود العراق مع دول الجوار ، وكان هذا الترسيم لصالح العراق ، وهنا نوضح نقطة مهمة في التعامل مع الاجنبي وكيف على السياسي ان لا يتزمت برؤية لونين فقط ابيض واسود وانما الحياة هي ضلال من الالوان الرمادية وما هو اقل الخيارات

شرورا والبحث عن المساحة المشتركة بين المصلحة العراقية والمصلحة الاجنبية وتدرجيا العلاقة تنبني بين الطرفين بايجابية وتتطور ، فمثلا كانت امريكا ثلاثة عشر ولاية تحت الاحتلال البريطاني ثار ابناء هذه الولايات على بريطانيا واستطاعت ان تقيم دولة جديدة وعلاقات جديدة وتحولت الى حليف حميم لبريطانيا ، كذلك نيوزلندا واستراليا ، اما ما حصل في العراق نتيجة الخطاب السياسي والمسؤولية السياسية والشارع العراقي كان هو الذي يحكم احيانا وليس القائد السياسي ومن المفروض القائد هو الذي يقود الا ان ما حصل انقاد القائد خلف الشارع وكان اسهل على السياسي ان يجمال الشارع بشعارات رنانة طائفية او يسارية او قومية ، اسهل عليه في مواجهة عملية الاعمار والتنمية للبلد هذا كان عقبة اساسية والطرف الوحيد الذي كان يستطيع مساعدة العراقيين هي بريطانيا ، والتقاء المصالح العراقية مع المصالح البريطانية رسمت الحدود العراقية مع كل الدول المجاورة لصالح العراق باستثناء الكويت والحدود العراقية كانت مصدر خلاف طويل مع دول الجوار وان العراق منذ سنة 1517 هو جزء من الدولة العثمانية اي قبل ستمائة سنة وهذا لا يمكن اغفاله خمسة قرون من الضم والاحتلال وبلحظة تم الانفكاك عن الدولة العثمانية وبرزت اول مشكلة حدودية هي مشكلة الموصل مع تركيا لان بريطانيا دخلت المدينة بعد توقيع الهدنة التي تنص على ان الاراضي التي تقع تحت سيطرة الطرفين اثناء توقيع الهدنة تبقى تحت سيطرتها ودخول البريطانيين بعد الهدنة يمثل خرق الاتفاق ، استمر الخلاف وبريطانيا غير مستعدة للتخلي عن الموصل لاحبا بالعراقيين وانما حبا لثرواتها ونتيجة الحركة الاتاتورية والنهضة التركية الجديدة عقد اتفاق لوزان 1923 وضعت قضية الموصل للحل بين تركيا والخلفاء وان تنحال القضية الى عصبة الامم لتقرير مصير الموصل مع الحفاظ على اشتراط مستقبل الاكراد ، وهذه الحدود لم تقر نهائيا الا سنة 1926 اما البعثة الاممية المرسله من عصبة الامم درست الوضع في الموصل وذكروا في تقريرهم ان خمس اثمان سكان الولاية هم اكراد لان الولاية كانت تمتد على الشمال الحالي والاكرد لهم حق تقرير المصير وذلك بعد مضي سنة في بقائهم مع الدولة العراقية الجديدة ومن ثم اجراء استفتاء اما البقاء مع الدولة العراقية او للحاق بتركيا ، لكن الذي حصل ان الحق مع القوي وليس مع القانون والشئ الاخر في قضية الحدود العراقية التركية كان تشرشل متأكد من خلال التقارير الاستخباراتية ما لم يرضي فرنسا وامريكا نفطيا سيبقى الطرفين يحركون الاتراك للمطالبة بالموصل وتبدء الاستعدادات لتكون الموصل جزء من تركيا وتشرشل قال لابد ان نرضيهم وفعلا ارضاهم عن طريق تقاسم توزيع الشركات النفطية كانت شركة النفط التركية تحولت في ما بعد الى شركة النفط العراقية وهذه الشركة وظائفها وزعت على اطراف عديدة وكذلك تركيا نفسها من اجل موافقة السلطات التركية على ضم الموصل للعراق قدمت بغداد اغراء عرض تخصيص عشرة بالمئة من العمل في العراق الى تركيا ، هكذا كان وضع الحدود العراقية مع تركيا وكيف بريطانيا لعبت دور ضم الموصل واذا كانت الموصل والمنطقة الكردية لها ميتقبل مختلف عن ما هو عليه الان الحدود العراقية مع ايران ايضا لا تخلو من المشاكل خاصة وان حكومة ايران لم تعترف بالدولة العراقية الجديدة الى غاية 1929 وقابلت مجيء فيصل للحكم بشئ من الجفاء وعدم الاكتراث بالوضع الجديد لمدة ثمان سنوات وما يثير المشاكل بين الدولة العراقية الجديدة وايران اكثر من موضوع واولها الحدود التي رسمتها الدولة العثمانية سنة 1847 بموجب معاهدة ارضروم وفي سنة 1913 وضع برتوكول لرسم الحدود لكن ايران تتحج بعدم مصادقة البرلمان عليه لان ايران تريد رسم حدود في شط العرب بطريقة تناصف الشط وليس كما هو حسب معاهدة ارضروم التي تنص على ان شط العرب كله عراقي وبعد المراسلات والمطالبات بين الطرفين علما ان بريطانيا لها نفوذ في ايران تمكن من ايجاد تسوية وهي اعطاء ايران موقعين على الجانب الايراني لتتمكن السفن من الارساء والاستقرار وهذين الموقعين خط الحدود وان يكون خط التالوك وهو منتصف عمق النهر وعلى هذا الاساس رسمت الحدود واعترفت ايران بالدولة العراقية وهذه الحدود تغيرت سنة 1975 باتفاق الطرفين ومناصفة الشط من البداية الى النهاية ولايران مشكلة اخرى وهي معاملة الايرانيين في العراق وكانت تريد ان يعامل العراق الايرانيين كمعاملة الاجانب الغربيين واعطاء الامتيازات التي تعطى للاجنبي الغربي بمعنى لا يخضع للقانون العراقي ، وكانت الحدود امنة وهادئة طوال العهد الملكي وطوال العهد الجمهوري الى ان وصل صدام حسين للسلطة سنة 1979 وبدئت المشاكل بين الطرفين الحدود مع المملكة العربية السعودية نجد هنا المشكلة تختلف عن بقية الدول لكن الطرف الوسط بين العراق وباقي الاطراف هم البريطانيون ، والمشكلة الحدودية مع المملكة العربية السعودية هي ان كثير من القبائل العربية هي من البدو الرحل تنتقل من مكان الى اخر والسؤال هذه القبائل تبعيتها لمن ، وهذه المشكلة كانت تؤرق البريطانيين بالذات والبحث عن حل لها فوجدوا تسوية معاهدة المحمرة بين نجد والعراق سنة 1922 لكن لم يوقع عليها حتى سنة 1925 وبذلك رسمت الحدود بين الطرفين بشكل نهائي وايجاد منطقة بشكل معيني والتي سميت بمنطقة الحياض وتم تناصفها في وقت لاحق ،

الحدود مع الكويت موضوع في غاية الأهمية حيث كان للبريطانيين معاهدة مع دول الخليج والحماية وأعطت كياناً سياسياً للكويتيين بالمقابل كانت رغبات عراقية أن تكون جزء من البصرة لكن البريطانيين قالوها بصراحة أن الكويت بمعزل عن العراق ، وهذه نقطة مهمة في ضمير السياسي العراقي والكويتي والمشكلة في السياسة الإقليمية والدولية أحياناً لا يمكن أن تعيد عقارب الساعة إلى الوراء ،

حاول العهد الملكي أن يجد حل للمشكلة وكان الحل بمنتهى الذكاء والوطنية (وهذا ما سمعته شخصياً من محمد فاضل الجمالي) يقول ، أرادوا إنشاء الاتحاد الهاشمي أو الاتحاد العربي بين العراق والأردن لمواجهة اتحاد الدول العربية بين مصر وسوريا ، حيث اقترح الطرف العراقي أن يكون هذا الاتحاد ثلاثي والطرف الثالث الكويت وهي مستعمرة بريطانية وأن الكويت تعلن استقلالها

كانت شركة النفط التركية تحولت في ما بعد إلى شركة النفط العراقية وهذه الشركة وظائفها وزعت على أطراف عديدة وكذلك تركيا نفسها من أجل موافقة السلطات التركية على ضم الموصل للعراق قدمت بغداد أغراء عرض تخصيص عشرة بالمئة من العمل في العراق إلى تركيا ، هكذا كان وضع الحدود العراقية مع تركيا وكيف بريطانيا لعبت دور ضم الموصل وإذا كانت الموصل والمنطقة الكردية لها مستقبل مختلف عما هو عليه الآن

الحدود العراقية مع إيران أيضاً لا تخلو من المشاكل خاصة وأن حكومة إيران لم تعترف بالدولة العراقية الجديدة إلى غاية 1929 وقابلت مجيء فيصل للحكم بشيء من الجفاء وعدم الاكتراث بالوضع الجديد لمدة ثمان سنوات وما يشير المشاكل بين الدولة العراقية الجديدة وإيران أكثر من موضوع وأولها الحدود التي رسمتها الدولة العثمانية سنة 1847 بموجب معاهدة أرضروم وفي سنة 1913 وضع برتوكول لرسم الحدود لكن إيران تتحجج بعدم مصادقة البرلمان عليه لأن إيران تريد رسم حدود في شط العرب بطريقة تناصف الشط وليس كما هو حسب معاهدة أرضروم التي تنص على أن شط العرب كله عراقي وبعد المراسلات والمطالبات بين الطرفين علماً أن بريطانيا لها نفوذ في إيران تمكن من إيجاد تسوية وهي إعطاء إيران موقعين على الجانب الإيراني لتتمكن السفن من الإرساء والاستقرار وهذين الموقعين خط الحدود وأن يكون خط التالوك وهو منتصف عمق النهر وعلى هذا الأساس رسمت الحدود واعترفت إيران بالدولة العراقية وهذه الحدود تغيرت سنة 1975 باتفاق الطرفين ومناصفة الشط من البداية إلى النهاية ولايران مشكلة أخرى وهي معاملة الإيرانيين في العراق وكانت تريد أن يعامل العراقي الإيرانيين كمعاملة الأجانب الغربيين وإعطاء الامتيازات التي تعطى للأجنبي الغربي بمعنى لا يخضع للقانون العراقي ، وكانت الحدود آمنة وهادئة طوال العهد الملكي وطوال العهد الجمهوري إلى أن وصل صدام حسين للسلطة سنة 1979 وبدأت المشاكل بين الطرفين

الحدود مع المملكة العربية السعودية نجد هنا المشكلة تختلف عن بقية الدول لكن الطرف الوسط بين العراق وباقي الأطراف هم البريطانيون ، والمشكلة الحدودية مع المملكة العربية السعودية هي أن كثير من القبائل العربية هي من البدو الرحل تنتقل من مكان إلى آخر والسؤال هذه القبائل تبعيتها لمن ، وهذه المشكلة كانت تؤرق البريطانيين بالذات والبحث عن حل لها فوجدوا تسوية معاهدة المحمرة بين نجد والعراق سنة 1922 لكن لم يوقع عليها حتى سنة 1925 وبذلك رسمت الحدود بين الطرفين بشكل نهائي وإيجاد منطقة بشكل معيني والتي سميت بمنطقة الحياض وتم تناصفها في وقت لاحق ،

الحدود مع الكويت موضوع في غاية الأهمية حيث كان للبريطانيين معاهدة مع دول الخليج والحماية وأعطت كياناً سياسياً للكويتيين بالمقابل كانت رغبات عراقية أن تكون جزء من البصرة لكن البريطانيين قالوها بصراحة أن الكويت بمعزل عن العراق ، وهذه نقطة مهمة في ضمير السياسي العراقي والكويتي والمشكلة في السياسة الإقليمية والدولية أحياناً لا يمكن أن تعيد عقارب الساعة إلى الوراء ،

حاول العهد الملكي أن يجد حل للمشكلة وكان الحل بمنتهى الذكاء والوطنية (وهذا ما سمعته شخصياً من محمد فاضل الجمالي) يقول ، أرادوا إنشاء الاتحاد الهاشمي أو الاتحاد العربي بين العراق والأردن لمواجهة اتحاد الدول العربية بين مصر وسوريا ، حيث اقترح الطرف العراقي أن يكون هذا الاتحاد ثلاثي والطرف الثالث الكويت وهي مستعمرة بريطانية وأن الكويت تعلن استقلالها

هذا المقترح عراقي ويكون أمير الكويت ملكاً وعندئذ يكون هناك ملك كويتي وملك عراقي وملك أردني ويكون اتحاد ملكي وهذا اقتراح عراقي مهم لأن الأردن بلد فقير والعراق إمكانياته بحاجة إلى تطوير ولنجاح الاتحاد الهاشمي هو مشاركة الكويت تكون مهمة لأنها تساعد بتغطية ميزانية الاتحاد الهاشمي وبنفس الوقت الكويت أصبح دون ذات كيان معترف به في هذه الكونفدرالية لكن البريطانيين كانوا ضد هذا الاقتراح لأسباب معروفة هي الاستئثار بالكويت دون مشاركة الآخرين والنتيجة مشكلة الكويت استمرت عقود ، في وقت سابق من حالة الاتحاد الهاشمي أثار الملك غازي مسألة الكويت ولاقى مشاكل ومن بعده عبدالكريم قاسم وخلقت له متاعب وفي ما بعد صدام حسين وخلقت له كوارث وكل هذا هو عدم إمكانية عودة عقارب

الساعة الى الوراء وعلينا ان نتعايش مع هذا الواقع وتطويره وهناك امثلة تاريخية كثيرة في اوربا فاذا طالبت المانيا باسترجاع الاراضي التي استقطعت منها لعاشت اوربا صراع دائم لكن الحل هو الاتحاد الاوروبي الذي وضع لكل دولة احترامها وبالمقابل وجدوا صيغة للعيش المشترك فماذا لو نجح الاتحاد الهاشمي الثلاثي فكيف سيكون الحال العربي

الحلقة 6 بـ

التيار العربي تمتد جذوره الى ما قبل الحرب العالمية الاولى مع اعلان الدستور العثماني والانفتاح السياسي وتأسس في بغداد النادي الوطني العلمي وضم شخصيات بغدادية شيعية وسنية وطرحوا فكرة العرب والعروبة مما دفع السيد طالب النقيب سنة 1912 تأسيس نادي للفكر العربي وطالب باستقلال العراق وكان العراق بالنسبة له هو ولاية بغداد وولاية البصرة ، كذلك ارتبط بالنزعة العروبية الضباط الشريفيين ومشاركتهم في الثورة العربية مع الشريف حسين سنة 1916 ومساعدة الامير فيصل دخول سوريا وحكمها سنة 1919 ، والمؤتمر الوطني العربي الذي نُصّب الامير فيصل ملك على سوريا ومن المفترض ايضاً تنصيب الامير عبدالله ملك على العراق تكريسا للفكر العربي وبالنسبة الى بريطانيا اعتبرت هذه الخطوات التزامات بريطانية متفق عليها ، لكن تغيرت المجريات لاحقا والفكر العربي بدء يلعب دور بالامتزاج مع الفكر العراقي اي ان يكون عراقي عربي وهذه كانت خطوة متقدمة على باقي الهويات الضيقة كالعشائرية والعشائرية والمناطقية ، اي فكر يخلق هوية عراقية ويخلق شخصية عراقية عربية وبهذا الصدد عندما حدثت هجمات وهابية سنة 1922 في كربلاء عقد مؤتمر وحد فيه السنة والشيعية بادانة الهجوم كعرب مسلمين قبل ان يكونوا طوائف وذهب ، ونتيجة تركيبة الدولة وفكرها السياسي العربي الماسكين بالسلطة هم من كانوا في الجيش فاصبحت المدارس تدرس الفكر العربي والوحدة العربية احياء المجد العربي ، ولم يطرحوا الاسلام واهمية الاسلام كهوية للفرد العراقي وهنا جانب مهم في الفكر العربي وهي القضية الفلسطينية التي لعبت دور كبير في المخيلة العراقية وارتبطت مشاعر العراقيين بالشراسة القومية العربية بتحرير فلسطين وهو ركن اساسي للعمل السياسي وكان العمل السياسي يسبق المطالبة بالديمقراطية

وحتى انقلاب 1941 كان متأثر الى حد كبير بالقضية الفلسطينية وبلغ هذا الشعور ذروته سنة 1941 بالتزامن مع حركة رشيد عالي الكيلاني حيث كل نزاعاتها عروبية وتزامنت هذه المشاعر بالاعجاب لالمانيا النازية والنظر الى شعارات النازية بالابتهاج ، الامر الذي اغاظ المسؤولين البريطانيين واعتبروا هذا تحريض ضدهم وكثير من المذكرات الرسمية بين الحكومتين البريطانية والعراقية تناولت هذا الموضوع ، الامر الاخر لهذا الزخم القومي اعطى وحدة الهدف واعتبروا بريطانيا هي اصل الداء والخلص من بريطانيا فلا بد الخلاص منها ليس في العراق فقط وانما في فلسطين ايضاً ، وتزاوج المسعى الوطني العراقي والفلسطيني بوجود الحاج امين الحسيني في بغداد والذي كان المنظر الايدولوجي للضباط والعقلاء الاربعة ، هذه كانت المدرسة العروبية ذات منحى نازي وتتعاطف مع المانيا ويقابل هذا المنحى منحى اخر عروبي لكن يؤمن بالتحالف مع الغرب البريطاني وليس الالمانى متمثل بنوري السعيد ومولود مخلص وكثير من القيادات الاخرى

بالنسبة لنوري السعيد كان يرى التحالف مع بريطانيا لاستقلال العرب وتطويرهم وقدم مذكرة الى بريطانيا سنة 1943 تشكل الخلفية لتأسيس الاتحاد الهاشمي في ما بعد ، وفي هذه المذكرة ولكي لا تثار مخاوف الغرب لم يستخدم كلمة عرب او عربي وتحدث عن وحدة سوريا الكبرى والتي هي الان سوريا وفلسطين ولبنان والاردن وكمرحلة اولى هو اعادة المنطقة وترتيبها والعراق ليس طرف فيها واراد يبعد الشبهة والاطماع العراقية في الاستحواذ والتمدد في هذه المنطقة والمرحلة الثانية من المذكرة هو تشكيل جامعة عربية وهي فكرة عراقية ، استجابت بريطانيا للفكرة عن طريق استفرائها من المحتوى وهي حلم نوري السعيد في تكوين كوتنفدرالية عربية وليس بضم سوريا الكبرى والعراق فقط

واي دولة عربية تستقل او مستقلة تريد الانضمام على أساس كوتنفدرالي ، ومسؤولية الجامعة العربية هي الخارجية والدفاع والعملة وحماية الاقليات وجعل حماية الاقليات مسؤولية مهمة وهذا الطرح الذي طرحه السعيد سبق له طرحه في مذكرة اواخر الثلاثينيات وعندما كان في بريطانيا حيث طرح بتوحيد سوريا الكبرى واعطاء اليهود الموجودين في فلسطين حكم ذاتي واعطاء للموارنة في لبنان حكم ذاتي ، وهذا كان يمثل بعد رؤية في الطرح مقارنة باصحاب شعارات الوحدة الفورية مع اصحاب العمل التدريجي ، فما بين النفاق السياسي بعد سنة 1958 وما بين طرح رجل سياسي ان مثل هذه المشاريع لا تتحقق بمناكفة العرب وانما بصداقة العرب وهذا ما طرحه نوري السعيد منذ سنة 1943 ، فهذا حنكة سياسية ورجل يفكر ببناء دولة وليس ان يفكر في السلطة والنفوذ فقط

نوري السعيد كان يدرك الورقة الراحبة في التيارات القومية هي موضوع العداء لبريطانيا بسبب فلسطين فالزعيل القومي الاول الذي بدء من جمعية العهد وحرس الاستقلال من السيد طالب النقيب بدؤا بالتعاون مع الغرب من اجل الاستقلال لكن النتيجة خيبات الامل بالذات في القضية الفلسطينية ففي سنة 1948 خسر الزعيل القومي العربي الاول دوره وظهر تيار قومي عربي متشدد لا يؤمن بالتحالف مع الغرب ويؤمن بالتحالف مع الاتحاد السوفيتي وبدء بطرح افكار يسارية متمثلة بعبدالنصر وحزب البعث والقوميين ، والتيار القومي العربي الثاني بعد سنة 1948 جاء ينتقد التيار الاول او الجيل الاول الذي اصاع نصف فلسطين والتيار الثاني اصاع النصف الثاني من فلسطين وجاء التيار الثاني ايضا بشعارات البناء والتعمير الا انه وجد وضع العراق الاقتصادي قبل 1958 هو افضل من بعده رغم النواقص الكبيرة التي يفتردها العراق ، ومن مأساة العراق والمنطقة ان التيار القومي العربي كان منطلقه دائما من العراق وهذه نقطة مهمة وهذا المنطلق يعود الفضل فيه الى فيصل الاول والضباط الشريفيين وهذا الزعيل الاول مثل رياض الصلح وشكري القوتلي وفارس الخوري يؤمنون بالتفاهم مع بريطانيا وبحاجة الغرب لكن هذا التيار سقط بسبب فلسطين والجانب الاخر سقط في الحرب الباردة التي جعلت العداء الغربي الاتحاد السوفيتي نقطة مركزية في حياتهم السياسية وتعاملهم مع الغرب يعتمد كيف نقف من الاتحاد السوفيتي وهذا اثر في سلوك كثير من العرب تجاه الغرب ، من هذه المنطلقات كان نوري السعيد وعكس ما كان يتصور البعض بانه لا يعرف المزاج السياسي المتنافر بين الطرفين وفي حديث له مع السفير البريطاني قبل سقوط نظام العهد الملكي قال (انا ادرك مدى مشاعر العداء الى بريطانيا وادرك ان غير نهجي وارفع شعار العداء لبريطانيا تحولني الى بطل ولكني لا اعتقد هذا الفعل يخدم البلد وانا بعمرى هذا من الصعب ان اغير سلوكي ونهجي) هذا الحديث في الحقيقة فيه كثير من البعد الوطني والانساني وان المزاج العام يريد شيئ لكن هذا المزاج خطأ وما على السعيد فعله هل يركب الموجة ويمشي الى ان يغيرها او يبقى صامتا والنتيجة الموجة اقوى منه الى ان سقط ، هذا المارق الذي مر به نوري السعيد وبصراحة هو نفس المارق الذي مر به عبدالمحسن السعدون الذي اطلق مقولته الشهيرة (الشعب يريد والبريطانيين لا يوافقون) بالتالي كان مصيره الانتحار ، وحسم قضية الصراع والتناقض ما بين ما يعتقد سليم وما بين ما تريده المعارضة الامر الذي ادى به الى الانتحار

لذلك فقد العراق قيادات كاريزمية سياسية تلهب الجماهير مثل شخصية فيصل الاول ولم تكلل ونحصل على زعامات مثل مانديلا ونهرو مما ابقى الشارع والمزاج العام يلعب دور في السياسة العراقية اي بلا بوصلة وهذه نتائج غياب الزعامة الملهمة واعطى مثل المزاج العام هو الذي ضغط على رشيد عالي الكيلاني وايد الكيلاني كرها بالبريطانيين وعلق على الالمان وكان هذا تقدير خاطئ دفعا ثمنه باهظا ومازال الشئ نفسه يتكرر عندما صار الشارع ضد العهد الملكي ويريد اسقاطه وتسقط بثورة وقوبلت باستحسان جماهيري منقطع النظير الذي جعل قائد الانقلاب يشعر ان هذا التأييد تفويض شعبي ولا حاجة للآخرين وبقي اسلوب دغدغة عواطف الجماهير هي اسلوب التعامل معهم بدل من توعيتهم وتطويرهم وتحسينهم ، لان هذا التطوير يحتاج الى قرارات صعبة ونجد كثير من الحكام اعادوا الاخطاء الكبيرة التي اسقطت عبدالكريم قاسم ، ومرة اخرى اصبحوا العراقيين يعارضوا البعث وصدام واتخذت المعارضة كل السبل مقابل الخلاص منه حتى وان امريكا احتلت العراق ولكن لا احد يسأل نفسه ما هو البديل ، هناك حقيقة مرة في السياسة العراقية هو نعرف ما لا نريد ولا نعرف ما نريد وهناك نكتة عربية على ذلك في الاردن بمناسبة ذكرى وعد بلفور خرج الناس تنادي (يسقط وعد بلفور) واذا بيدوي بينهم يفهم الشعار يسقط واحد من فوق

الحلقة 7 أ

المعارضة العراقية السياسية منذ نشأة الدولة

ان موضوع المعارضة العراقية السياسية يجب النظر اليه من ناحية الفهم السياسي العام فبدون معارضة صحية وفاعلة وملتزمة لا يستقيم اي وضع سياسي في اي بلد يريد ان يعيش على قدر من الحرية والديمقراطية ، لان الحكمة تقول (كيف ما تكونوا يولى عليكم) ومن هذه المقولة كيف ما تكون المعارضة سيتغير البلد فان لم تكن المعارضة بمستوى الاستحقاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ستكون نتائجها وخيمة فلا الحكومة قادرة ان تعمل لانها لا تحترم المعارضة ولا المعارضة ان لجئت الى أساليب خاطئة وعنيفة لتغيير السلطة لا تتمكن من تحقيق ما تريد

من هذا المدخل تتحمل المعارضة اي معارضة وليس في العراق فقط مسؤولية كبيرة في ما ال اليه العراق خلال العقود الماضية والقرن الماضي ، رغم القيود التي فرضت على المعارضة في

العهد الملكي واللجوء الى الاحكام العرفية استطاعت المعارضة ان تعيش على اراضيها وكانت تعتقل وتضطهد لكن كان بإمكان المعارضين بالتواصل والمواصلة بالعمل من داخل العراق او حتى من ادخل السجون وفيهم قادة ويمارسوا نشاطاتهم السياسية ونذكر منهم كامل الجادرجي وزعيم الحزب الشيوعي العراقي سلام عادل

وعندما حرمت المعارضة من ان تعيش على ارض وطنها وخيارها اما ان تقتل او تهاجر فعند اد البلد مقبل على كارثة وهذا ما حصل في التسعينيات حتى وصلنا الى الاحتلال الامريكي من صعوبة القول ان العهد الملكي يمتاز بلون واحد وانما كانت الحياة السياسية تمر بمراحل الصعود والنزول فهناك فترات انفتاح وفترات انغلاق وبطش وقوة ، فعلى سبيل المثال كان البعض ينتقد الانتداب البريطاني والسيطرة البريطانية لكن هذه السيطرة ساعدت على ادخال مفاهيم سياسية وتطبيقية على الاقل لفظاً مثل مجلس النواب ومجلس الوزراء وكل هذه المسميات لم تطبق بحذافيرها وانما شكلية الا ان المفارقة في عهد الانتداب وسكان العراق لم يتجاوز المليونين والنصف مليون وعهد الانتداب من سنة 1921 الى 1932 صدرت واحد وستون جريدة ومجلة عراقية ، هذه الصحة السياسية تدل على الانفتاح بينما بعد الانتداب بسنوات الاستقلال في العهد الملكي الصحافة كانت اكثر عرضة للقيود الا ان هذا لا يعني بين الحين الاخر يصبح انفتاح

ونذكر في هذا المجال مرحلة من سنة 1945 الى سنة 1954 كانت بمثابة مرحلة انفتاح بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لكن مرحلة من سنة 1936 الى سنة 1945 عاد العراق الى مرحلة الانغلاق في عهد نوري السعيد وهذا الانغلاق ادى الى مزيد من الشحن والعداء في الوقت يجب ان تستوعب الحكومة المعارضين وعادةً عمل المعارضة يتم عبر مؤسسات تقوم على الصيغة الحديثة وهي الاحزاب يربط اعضائه باهداف مشتركة ومشروع مشترك لهدف التغيير عبر المشاركة في السلطة وعلى الحزب ان يؤمن بالتداول السلمي للسلطة وهذه ضمانات لاستقرار البلد ومهم جدا في الاصلاح المجتمعي هو التراكم فليس هناك تحول من ابيض الى اسود بقفزة واحدة وانما لابد من تراكم المواقف والاحداث ، ففي بريطانيا كان لا يمكن للمرأة حق التصويت حتى سنة 1929 ولا يمارس الرجل حق الاقتراع الا اذا كان صاحب ارض واصبح تدريجيا كل مواطن له حق الانتخاب ، وفي امريكا اصحاب البشرة السمراء لم يكن لهم حقوق انتخابية حتى عقد الستينيات من القرن العشرين ، فالتراكم اساسي في تطور اي بلد لكن ان حصلت ثورة والمشكلة اذا كانت الثورة غير ناضجة تخلق ازمة بعد ازمة وثورة بعد ثورة وحتى الثورات هي في الحقيقة انقلابات عسكرية للقفز على السلطة هذه مشكلة الثورة تلغي ما سبقها وتبدء من جديد وبذلك تخسر قيم وتجارب ماضية ممكن الاستفادة منها في تطور البلد الا ان هناك استثناءات كثيرة فالانقلابات والثورات الكبيرة كما حصل في تركيا بقيام حركة اتاتورك واستعادة استقلال تركيا وقيام نظام جديد ، بدء بحركة عسكرية تحولت الى نظام دائم وتدرجيا لم تتحول الى ديمقراطية بعد عقود من الزمن وتعرضت الى انقلابات عسكرية مرارا الى ان تمكنت في القرن الواحد والعشرين ان تتمتع تركيا بديمقراطية فريدة في الشرق الاوسط وهذا ما كان ليحصل الا بالتدرج والتراكم الذي خدم البلد الا ان المشكلة في واقع العراق والعالم العربي يدل من تقليم الشجرة بلجئ الى الى قطعها وزرع بذرة جديدة وليس هناك متسع من الوقت لنمو الشجرة الجديدة وتأتي ثورة اخرى تقتلع النبتة الجديدة ويعيش البلد حالة من المتاهات والمعارضة العراقية احزابها غالبا ما تكون واجهة لشخصيات او افراد تلكوا باهدافهم الا باستثناءات قليلة ابرزها الحزب الشيوعي العراقي كذلك احزاب قومية مثل حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي وحتى حزب البعث في بداياته لم يكن واجهة لشخص وانما تجمع لافراد مؤمنين بمشتركات ، هذه الظواهر مهمة خاصة بعد سنة 2003 نجد مرة اخرى احزاب واجهة لشخص واحد وبزوال الشخص ينتهي الحزب لانها مرتبطة بمصالح هذا الشخص ولهذا السبب التجربة الحزبية في العراق غير ناضجة ولم تترك اثار بعيدة باستثناءات قليلة

ان هذه الاحزاب لم تتوفر لها رؤية واضحة لمشكلة العراق فغالبيتهم ابناء مدن اكثرهم من بغداد والموصل والبصرة فكانت النخب البغدادية هي التي تقوم بالتصور السياسي للاخرين ، في هذه المرحلة بدئت الاحزاب تميل الى فكرة الهوية العراقية العربية لكن النقطة التي فشلت بها فشل ذريع هو تكوين تصور للعيش المشترك على اساس سنعيش كعراقيين مع بعضنا فكان احد الاخوان الاكراد يقول انتم العرب تعيشون بالقصر ونحن في مرآب السيارات فكيف نعيش وهناك سيد وخاضع هذه الاسئلة لم تكن لها اجابة واضحة فالفكر العائلي والعشائري والشخصي يريد مصالحة على حساب مصالح الاخرين وهناك ايضا فكر طريقي بالحزب الشيوعي يطالب بمصلحة العمال والفلاحين وحكم دكتاتورية الطبقة البلوريتارية ، والقوميين يعتقدون ان عيب التقسيم مجرد ان يتحدثوا بعضى سحرية سينتغير الواقع الى حالة فردوسية لكن جميعهم لم يعالجوا صيغة تجعل من العراقي يشعر بالعيش المشترك ، والدساتير توضع لكن لا تنفذ فاذا دستور سنة 1925 كتب بمساعدة البريطانيين وبضغط منهم وفيه قوانين متحصرة لكن تنفيذها لم يكن تطبيق سليم ولا روحية الدستور كانت تطبق باتمام ، في العهد الجمهوري الدستور كتبه

حسين جميل ولم يستغرق اعداده سوى يومين فقط واعتماده وادخل فقرتين اساسيتين اولهما هي العراق شراكة بين العرب والكرد وهذا مفهوم سياسي جديد تطور عن المرحلة السابقة ولان فيه استجابة لطموح الشعب الكردي ، والفقرة الثانية أمن الدستور بالحقوق السياسية وفكرة الحريات ، لكن عمليا بالحالتين في مشروع الدستور لا موضوع الاكرد حل بطريقة كما جاء في الدستور ولا الحريات منحت كما جاء في الدستور ، اما الدساتير اللاحقة في ما بعد فكانت شكلية تضعها فئة قليلة متنفذة

ان الاحزاب في العهد الملكي همما الوصول الى السلطة خاصة اذا كان الحزب واجهة لشخصية معينة ولم تكن لعبة الديمقراطية والتجربة البرلمانية هي الوسيلة وكثير من هذه الاحزاب لجئ الى العنف ففي اواخر العشرينيات والثلاثينات كانت العشائر قوية وتملك سلاح والسياسة في بغداد لجؤا ايام ودارة ياسين الهاشمي وعلي جودت الابوي في صراعهم مع بعضهم لجؤا الى العشائر لمساعدتهم لضرب الحكومة او الصعود للحكم وعندما انتهت شوكة العشائر في اواخر الثلاثينيات لجؤا الى الجيش عندما اصبح جيش قوي والجيش بدء يتدخل بالسياسة والضغط على البلاط الملكي لتغيير المناصب وهم العقدة الاربعة وفرضوا التناقص حيث طالبوا اعادة نوري السعيد سنة 1938 وبعد ثلاث سنوات طالبوا بخلعه وتحقيق نفوذهم وانقلابت المعارضة من يد الاحزاب الى العسكر وهؤلاء بدؤا بفرض ارادتهم ، والمثل واضح على ذلك هو انقلاب بكر صدقي لكن عمليا حافظ على واجهة مدنية ورئيس وزراء مدني وهو حكمت سليمان ولكن القوة كانت بيد بكر صدقي

واصبح مجيء بكر صدقي بانقلاب واسقط بانقلاب ايضا ومجئ نوري السعيد سنة 1938 نتيجة ضغط عسكري على القصر ان صحت التسمية وهذه الظاهرة استمرت طويلا فيمجرد القفز على السلطة لا يحقق الهدف الذي كان يطالب فيه وان كثير من المعارضين يتحدثوا عن الحريات والحقوق السياسية ولكن سرعان ما ان يصلوا الى السلطة يمارسوا عكس ذلك وينطبق عليهم المثل لا تنهي عن امرأ وتأتي بمثله ، هكذا كان ديدن معظم السياسيين وخاصة الشخصيات التي انتمت لاحزاب المعارضة مثلا خليل كنة كان ينتمي لحزب معارض ترك الحزب وتعاون مع السلطة واصبح يمارس ما كان ينتقده ، كذلك مجموعة من الاحزاب مثل حزب الاتحاد الوطني الديمقراطي وتعاطف مع المعارضة وعندما اشتركوا بالسلطة انقلبوا عليهم ، هذه المعارضة بالنسبة للشعب هي ليس اكثر من دعاة سلطة وقفز للسلطة وليس دعاة بناء وطن وهذه نقطة سلبية تسجل على المعارضة العراقية كان العراقيين دائما بمزاجهم السياسي العام بالصد من بريطانيا لكن في الحقيقة بريطانيا كانت من تضغط على العرش لاجل الانفتاح السياسي خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث ضغط السفير البريطاني في بغداد على الوصي عبد الله بان يدخل دماء جديدة الى الوزارة وان يفتح اكثر وبعد الحرب ضغطت الادارة البريطانية من اجل الانفتاح وفعل سنة 1946 يمثل مرحلة فاصلة في الانفتاح السياسي وتشكلت احزاب كان لها دور كبير في مستقبل العراق ابرزها حزب الاستقلال بزعامة محمد مهدي كبة وفاق السامرائي وصديق شنشل وحزب الاحرار تعاقبت عليه قيادات مختلفة منهم محمد علي الدفتري ، وتأسس سنة 1946 الحزب الوطني الديمقراطي وضم شخصيات بغدادية ، والفكرة لهذه الاحزاب وما قامت به تمكنت من تجاوز العقل الطائفي ولم تكن في الاحزاب شخصيات سنية كما كان في بدايات القرن العشرين وانما انضمت شخصيات شيعية مثقفة ومتعلمة مثل عبدالكريم الازري وعبد الوهاب مرجان وعبود الشالجي الى الحزب الوطني الديمقراطي لكن هذا الحزب لم يتمكن من صهر التعاون بين الشيعة والسنة وغلبيت عليه طابع ابناء المدن والطائفة الواحدة وان طعم بشخصيات شيعية لكن ما كان يؤخذ عليه ممكن ان يكون رائد كبير الا انه تحول الى واجهة شخصية ولم يقدم نموذج حقيقي لروح الفريق ، ربما كان الجادرجي يعتقد ان لابد من اخذ موقف حازم في قضايا اخرى غير العمل الجماعي والتمازج الاثني

سنة 1946 عندما شكل نوري السعيد وزارته انفتح واشرك شخصيات من المعارضة مثل محمد حديد عن الحزب الوطني الديمقراطي ومحمد علي الدفتري عن حزب الاحرار ، كانت هذه المرحلة بالذهبية التي اعطت مجال نمو ثقافة حزبية جديدة لا يعرفها العراق من قبل ، وفي سنة 1949 وامتدادا لهذا الانفتاح شكلت احزاب موالية للعرش والحكم وهم حزب الاتحاد الدستوري وفتح السعيد حزب الاستقلال من الاندماج مع الاتحاد الدستوري لكن الاستقلال في حزيران سنة 1951 اسسه صالح جبر واندمج مع حزب الاصلاح بزعامة سامي شوكت في تموز من نفس السنة وهذه كانت خطوة مهمة وان لم يندمجوا بشكل صحيح وبعدها تحول الى واجهة لشخصية صالح جبر

كان حزب الاتحاد الدستوري اكثر الاحزاب تتسم بالعمل الجماعي واتباع الية التصويت الا انه تحول الى واجهة لنوري السعيد ، والاحزاب الاخرى واهمها الحزب الشيوعي الذي تأسس سنة 1933 بدء ينشط نشاط واسع مع بداية الحرب العالمية الثانية وان بريطانيا تحالفت مع الاتحاد السوفيتي فأعتبرت نشاط الشيوعيين يخدم الكفاح ضد النازية وبعد سنة 1946 نشط الحزب

نشاط اوسع لكن الانفتاح البريطاني والاوروبي تراجع عن فسخ المجال للحزب في الحرب الباردة

الامر الايجابي الذي ادركنه الاحزاب ان التفتت والانشطارات الحزبية يضعف العمل السياسي الحزبي الشعبي ، ودفع حزب الاستقلال والحزب الوطني في سنة 1956 ان يوحدا صفوفهم باسم حزب المؤتمر والمؤسف ان الحكومة لم تمنح الاجازة في وقت كان النضج السياسي لكلا الحزبين هو الضمانة السياسية لانهم كانوا في قمة المعارضة من خلال مواقفهم تجاه قضايا مهمة ومشاريع نوري السعيد وحلف بغداد والعدوان الثلاثي على مصر لو كانوا سنة 1956 البريطانيين ناصحين البلاط وناصحين نوري السعيد ولو كان السعيد يدرك ان لا يقف بوجه المعارضة وان يكسب جزء من منها ولو ان الملك او الوصي كلف محمد مهدي كبة رئاسة الوزراء آن ذاك ويتحمل المسؤولية ويبقى الجادرجي وكبة مؤمنين ببقاء النظام وعدم تغييره لبقى النظام ، وما نقوله هو مقارنة بين السلوك السياسي الخاطئ والسلوك الصواب الذي حصل في الاردن وذكاء ملك حسين عندما استوعب المعارضة وكثير من المعارضين تم دمجهم في الحكومة واكثر من ذلك نأخذ نموذج اخر في المغرب العربي محمد السادس كان يدرك انه لا يمكن البقاء بنفس الوجه وسمح لحزب معارض ان يستلم الحكم وبذلك امتص النقمة

فالمعارضة يجب ان تشارك في الحكم لكي تعرف صعوبة الحكم وثم ان العنصر الشخصي العاطفي ان يريد اصلاح ويريد ان يصبح مسؤول يجب توليته لكي يرى ما كان لا يراه هذه التجارب في الاردن والمغرب وغيرها لم تكن تجري في العراق حيث كانت السلطات محصورة جدا ، واهمية الانفتاح السياسي وكيف تعاملوا مع حدث مهم في كاورباغي بكركوك حيث قامت تظاهرات لعمال النفط سنة 1946 مطالبين بتحسين معيشة وهذا عمل نقابي وعلينا ان لا نجعل عمل نقابي له بعد سياسي معين وهذا الموضوع مهم لان في المراحل الاخرى العمل النقابي سيسيس لصالح حزب معين وخسر العمال بسبب قضيتهم التي سيست لصالح حزب

الحزب الشيوعي العراقي وكانت عملية قمع المظاهرة التي قامت اذا الى ردة فعل كبيرة حتى ان وزير الداخلية عبدالله القصاب استقال احتجاجا على الطريقة التي تمت بها قمع التظاهرة ولنقارن ان وزير الداخلية يستقيل نتيجة الاسلوب في التعامل مع تظاهرة وبذل اسلوب حضاري اي الاستقالة لكان ممكن ان يترسخ ويتعمق ويتحمل المسؤولية الادبية والعضوية وان الوزارة نفسها وهي وزارة ارشد العمري اضطرت ان تستقيل تحت ضغط شعبي واستقالة العمري نموذج خفف من عملية الضغط الشعبي. والتغيير عن طريق الاحتجاجات او بالرأي العام او الصحافة ، هذا كان صمام امان لكي يبقى الاستقرار في البلد والتغيير ان لم يأتي من الحكم فعلى الراي العام الشعبي والقيادات الحزبية تبدا بالعمل من اجل التغيير بالوسائل السلمية وليس عبر الانقلابات وهذه فرصة ضاعت من يد العراقيين لانهم سرعان ما عادوا الحكومة بيد نوري السعيد بعد فترة غلق الابواب

المرحلة الاخرى التي فتح بها الانفتاح السياسي هي في الخمسينيات في وزارة الدكتور محمد فاضل الجمالي حيث جاء بوزارة من التكنوقراط والمهنيين والكفاءات وانفتح نسبيا عن الوزارة السابقة وتمكن من التحرك واجرى انتخابات وكانت هي الوحيدة التي ادخلت ثلاثة عشر نائب معارض الى البرلمان وهؤلاء تمكنوا من كسب اعضاء داخل البرلمان وشكلوا كتلة قرابة الثلاثين نائب لكن من المؤسف ان هذه التجربة اجهضت لان لا المعارضين تصرفوا بطريقة تدعم الجمالي ولا الجمالي كان يملك القاعدة الشعبية التي تمكنه من الخروج عن تأثيرات نوري السعيد وكانت النتيجة ان المشاكل التي حصلت دفعتهم الى تغيير الجمالي والمشاكل لم تكن محلية فقط وانما كانت متأثرة بالمحيط الخارجي وبالتالي دفعتهم الى تغيير الجمالي وارجاع نوري السعيد للحكم ، وعودته سنة 1955 يمثل انتكاسة سياسية لان ما قام به اعتبر هذا البرلمان الذي فيه فقط ثلاثة عشر نائب معارض وبعض الملتفين حولهم لم يستطيع السعيد في تحملهم وقام بحل البرلمان وتمت انتخابات بالتزكية وليس بالتصويت وليس فيها نائب واحد معارض وبذلك خذل البرلمان من حيث يدري او لا يدري ولم يحمي العهد الملكي وانما دق اسفين نهاية الحكم الملكي

وعندما شعرت القوى المعارضة باختلافها ان فرصة التغيير السلمي للسلطة بات مستحيلا شكلوا جبهة ليست رسمية سنة 1957 وسميت جبهة الاتحاد الوطني والتي استقطبت المعارضة من شيوعيين واستقلال وطني ديمقراطي وتأييد الاكراد وهذه الجبهة خلقت البيئة السياسية والارضية لانقلاب 1958